Dirasat: *Shari'a and Law Sciences*, Volume 48, No. 1, 2021

Deanship of Scientific Research

Calling Allah with His Names between Theory and Practice: Critical Dogmatic Study

Rajeh Ibraheem Al-Sabateen

Department of Foundations of Religion, School of Shari'a, The University of Jordan, Jordan.

Received: 19/2/2019
Revised: 10/3/2019
Accepted: 27/7/2020
Published: 1/3/2021

Citation: Al-Sabateen, R. I. . (2021). Calling Allah with his names between theory and practice: Critical dogmatic study. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, *48*(1), 1–15. Retrieved from https://dsr.ju.edu.jo/djournals/index.php/Law/article/view/2969

© 2021 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

This paper discusses the issue of calling Allah with his most beautiful names and perfect attributes. This kind of calling "Du'aa" consists of two parts: The call of praise and worship and the call of asking for needs and demands. It also emphasizes that calling Allah with his most beautiful names and perfect attributes was implemented by Prophet Mohammad and the past prophets (p.b.u.t) during their lives. This research used the inductive method by extrapolating Sharia texts from the book and the Sunnah regarding supplication of Allah Almighty using his names and attributes. It also used the analytical method to differentiate between the supplication of Allah Almighty using his names and attributes on the one hand and the supplication of the attributes of Allah Almighty on the other hand by discussing the opinions and evidence of those who are against begging Allah Almighty using his attributes. In addition, it used the historical method by referring to selected models showing the supplication of the prophets using the names of Allah and his attributes, including the supplication of the prophets Ibrahim and Ishmael peace be upon them. Finally, the paper calls Muslims to make this kind of calling a method of life, and confirms the danger of its absence.

Keywords: Calling Allah with his names between theory and practice: Critical dogmatic study.

دُعاءُ اللهِ بأسمائِهِ الحُسنَى بينَ النَّظريّةِ والتَّطبيق دراسةٌ عَقَدِيَّةٌ نَقدِيَّةٌ

راجح إبراهيم السباتين

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

ملخّص

يُناقِشُ هذا البَحثُ مسألةَ دُعاءِ اللهِ تعالى بأسمائه الحُسنى وصِفَاتِهِ العُلا، وانقسام هذا النَّوع من الدعاء إلى دُعاءِ ثَنَاءٍ وعِبادةٍ مِن ناحيةٍ وإلى دُعاءِ مَسأَلَةٍ وطَلَبٍ مِن نَاحيةٍ أُخرى، ويناقش هذا البحثُ مسألةَ التّفريق بين دُعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته وبينَ دُعاء الصِّفَاتِ بِعَينِهَا، ويؤكِّدُ البحثُ أنَّ دعاءَ الله تعالى بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلا كان مَنهجَ النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم - وسابِقِيهِ مِن الأنبياء والرُّسُلِ الكِرامِ في حياتهم وفي تعاملهم مع أقوامهم. استخدمَ هذا البحثُ المَنهَجُ الاستقرائيُّ و ذلك مِن خلالِ استقراء نُصُوصٍ شَّرعيَّةٍ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ في مَوضوع دُعاءِ اللهِ تَعالى بأسمائِهِ وصِفاتِهِ و المَنهجُ التَّحليليُّ للتَّفريقُ بين دُعاء اللهِ تعالى بأسمائِهِ وصفَاتِهِ مِن جِهَةٍ وبينَ دُعاءِ صفاتِ اللهِ تعالى بعينها مِن جِهَةٍ أُخرى مِن خلالِ مُناقشةِ آراءِ وأَدِلَّةِ مَانِعِي التَّوَسُّلِ إلى اللهِ تعالى بِصِفَاتِهِ والرَّدّ عليها و المَنهجُ التَّاريخيُّ من خلال الرجوع الى نماذجَ مُختارةٍ تبين دعاء الانبياء بأسماء الله و صفاته ومِنها دُعاءُ الأنبياءِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وزكريّا عَلَيهِم السَّلامُ. وأخيراً فإنّ هذا البحثَ يدعو إلى اتِّخَاذِ دُعاء اللهِ تعالى بأسمائه وصفاته مَنهَجَاً عَمَلِيّاً في حياة المُسلم ويؤكِّدُ على خطورةِ غيابِ مثل هذا المَنهَجِ عن حياتنا.

الكلمات الدالّة: الدُّعاء، أسماءُ اللهِ الحُسنى، الصِّفَاتُ العُلا، دُعاءُ الثَّنَاءِ والعِبَادةِ، دُعاءُ المَسأَلَةِ والطَّلَب.

مُشكِلَةُ البَحث:

تَوضيحُ كيفيَّةِ دُعاءِ اللهِ تَعَالى بأسمَائه الحُسنى وصِفَاتِهِ العُلا والتَّقَرُّبِ إليه بهَا، وبيانُ أنَّ اللهَ تعالى لا يَصِحُّ أَن يُدعَى إلَّا بها، مع بيانِ الأُمور التي يجبُ على الدَّاعي بهذه الأسماءِ الحُسنى والصِّفَات العُلا مُرَاعاتُها وأخذُها بِعَينِ الاعتِبَارِ عندَ سؤالِ الله تعالى ودعائِه بها، مع التَّأكيدِ على جَوَازِ وصِحَّةِ التَّوَسُّلِ إلى اللهِ تَعَالى بِصِفَاتِهِ العُلا.

أهميَّةُ البَحثِ ومُبَرّرَاتُه والحاجَةُ إليهِ:

– عَرضُ ومُناقشةُ الأَدِلَّةِ الشَّرعيّةِ الواردةِ في وجوبِ دعاء الله تعالى بأسمائِهِ الحُسنى وصِفَاتِهِ العُلا، وعَدَمِ جَوازِ دُعائِهِ بِغَيرِهَا.

– بيانُ وتَوضيحُ الأَدِلَّةِ الشَّرعيَّةِ التي تُثبتُ صِحَّةَ التَّوَسُّلِ إلى الله تعالى بِصِفَاتِه العُلا.

– تَفصيلُ القَولِ في أنَّ دُعاءَهُ تَعالى يَنقَسِمُ إلى دُعاء ثَنَاءٍ وعِبَادةٍ وإلى دُعَاءِ مَسأَلَةٍ وطَلَبٍ.

– الإجابةُ عن سُؤالِ "كيفَ يكونُ الدُّعاءُ بالأسماء الحُسنى والصِّفَاتِ العُلا مَنهَجَاً عَمَلِيَّاً تَطبيقِيَّاً في حياةِ المُسلِم؟".

– بيانُ الحَوائلِ والموانعِ التي تَحُولُ دُونَ إجابةِ الدُّعاء حتَّى ولو كان مُقتَرِناً بأَحَبِّ أسماءِ اللهِ تَعَالى إليه.

الدِّراساتُ السَّابقةُ:

لَم أقِفْ على دراسَةٍ أو بَحثٍ عِلميٍّ أو كتابٍ خُصِّصَ لِموضوع هذه الدّراسة -على مَا أَعلَمُ - وكلُّ الذي وَقفتُ عليه إنَّما يُناقِشُ - كمَا هو مَشهورٌ في كُتُبِ العقيدةِ - مَعاني الأسماء الحُسنى والصِّفاتِ العُلا وأَهَمِّيَّتَها ومنهجَ أهلِ السُّنّةِ والجَمَاعة في تقريرها والرَّدِّ على المُخَالِفِينَ لهُم، وما إلى ذلكَ مِن الحديث عن أنواعِ الصِّفاتِ العُلا وتَقسِيمِها.

وأمَّا عن الدُّعاءِ بهذهِ الأسماءِ والصِّفاتِ الإلهيَّةِ فقد جاءَ الحديثُ عنها عَرَضِيَّاً ضمنَ المَباحثِ والمَسائلِ التي تَضَمَّنَتْهَا هذه الكتبُ.

مَنهجيَّةُ البَحث:

استخدمَ هذا البحثُ العديدَ مِن المناهج، وكان مِن أبرزِها:

– المَنهَجُ الاستقرائيُّ: يتَوضَّحُ ذلك مِن خلالِ استقراء النُّصُوصِ الشَّرعيَّةِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ في مَوضوع دُعاءِ اللهِ تَعالى بأسمائِهِ وصِفاتِهِ.

– المَنهجُ التَّحليليُّ: الذي تمَّ مِن خلاله التَّفريقُ بين دُعاء اللهِ تعالى بأسمائِهِ وصفَاتِهِ مِن جِهَةٍ وبينَ دُعاءِ صفاتِ اللهِ تعالى بعينها مِن جِهَةٍ أُخرى؛ لأَنَّ الأَوَّلَ وَاجبٌ أمَّا الثَّاني فَهُوَ حَرَامٌ، وقَد يَصِلُ بصاحبِهِ إلى الكُفرِ إن كان يقصدُهُ. كما يَتَّضِحُ هذا المنهجُ مِن خلالِ مُناقشةِ آراءِ وأَدِلَّةِ مَانِعِي التَّوَسُّلِ إلى اللهِ تعالى بِصِفَاتِهِ والرَّدِّ عليها.

– المَنهجُ التَّاريخيُّ: الذي نتحَدَّثُ مِن خِلالِهِ عَن دُعاءِ رسولِ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وأُخوَتِهِ الأنبياءِ - علَيهم السَّلامُ - مِن قَبلِهِ للهِ تَعَالى بأسمائِهِ وصِفَاتِهِ في كُلِّ أحوالِ حياتِهم ودَعوَتِهم لأَقوَامِهِم مع الوقوفِ على نماذجَ مُختارةٍ بهذا الصَّدَدِ مِنها دُعاءُ الأنبياءِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وزكريّا عَلَيهِم السَّلامُ.

حُدودُ البَحث:

إنّ الأبحاثَ والكتابات في موضوع الدُعاء كثيرةٌ جداً، ولكنَّ الذي نحنُ بصددِ الاقتصارِ عليهِ في هذهِ الدراسة هو جزءٌ واحدٌ فقطْ قَلَّتْ فيهِ الدِّراساتُ والأبحاثُ؛ ألَا وهو دُعاءُ الله تعالى بأسمائه الحُسّنى وصِفاتِهِ العُلا، وبيانُ المقصود به وكيفيّته، واستعراض الشّواهد والنُّصوص الشّرعيّة المُتعلّقة بدُعاء الأنبياءِ اللهَ تعالى بها.

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الذي تسّعى هذهِ الدراسةُ لِطَرقِهِ إنّما هو بابٌ مُحَدَّدٌ مِن أبواب الدُّعاء الواسعة ألا وهو دُعاء اللهِ عَزَّ وجَلَّ بأسمائه وصِفاتِه... ولا يعنينا في هذا البابِ من أبواب العقيدة ومباحثها (أي؛ باب أسماء الله الحُسنى وصِفاتِهِ العُلا) في هذه الدِّراسة سوى الدُّعاء بها و التَّقَرُّب إليه - تبارك وتعالى- بها. ولا يزعمُ هذا البحثُ أنّهُ جاءَ بأدعيةٍ جديدةٍ أو كيفيَّاتٍ لم يُسبَق إليها في دُعاء الله تعالى بأسمائه وصِفاته؛ لا ولكنّ المُبتَغى من خلاله هُو النُّهوضُ للتّوجيه والتّصويب والإرشاد إلى الكَيفيّات الصّحيحة المشروعة التي ينبغي أن يكون عليها مِثلُ هذا النّوع الجليل والرّفيع مِن الدُّعاء لأنّنا – وللأسف – نرى الكثيرين يتسابقون في اختراع وابتداع أدعيةٍ بأسماءٍ لله تعالى ما أنزلَ بها مِن سُلطانٍ. وتَرى الواحد مِنّا يستلمُ كُلَّ يومٍ الكثير من الرسائل على مواقع التّواصل الاجتماعي، وبالذّات (الواتس آب) أدعيةً مِن أصحابه وأهله ومُحِبّيه - كلّها من باب المودّة والتذكير والتناصح بالخير - وفي هذه الأدعية ما يخالف الشرع سواءٌ أكان ذلك في عنوانها أو محتواها، والباعث على ذلك كلّه الجهلُ بكيفيات دُعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته، ومِن هنا وَجبَ النُّهوض للتّصحيح والتّذكير وبيان أوجه الحقّ والباطل، أو على الأقلّ بيان الصّواب والخطأ، وإنّ الأساس الذي قام عليه هذا البحث المتواضع هو قوله تعالى:(ولله الأسماءُ الحُسنى فادعوه بها)، (الأعراف: 180).

المَطلَبُ الأَوَّلُ:

تَوطِئَةٌ في سُؤال العَبدِ وسُؤالِ الرَّبِّ، وفيما يجِبُ استِحضَارُهُ عندَ الدُّعَاء

الحَمدُ للهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله. أمَّا بَعدُ؛ فإنَّ أحدَنَا لو أرادَ لقاءَ إنسانٍ ذي جَاهٍ وسُلطَانٍ ومَنصَبٍ - يملكُ مِن السُّلطةِ والنُّفوذِ ما يقدرُ به على قضاء حاجات النّاس - لِيَشكُوَ إليه مَظلَمَةً لَحقَتْ به أو حاجةً يريدُ قضاءها أو هَمَّاً يبثُّهُ إياهُ ، لَتَطَلَّبَ الأمرُ وقتاً طويلاً في التّرتيب للقائِهِ إيّاه - هذا إن وافقَ صاحبُ الجَاه والسُّلطان على اللقاءِ ابتداءً - وذلك بسببِ انشغَالِهِ والزَّحمَةِ التي في جدول مواعيده ولقاءاته وأعمالِه، ناهيكَ عن التَّرتيبات والتَّعقيدات التي تُرافقُ حجزَ المَوعد وما إلى ذلك مِمَّا يراهُ مديرُ أعمال أو مكتبِ صاحبِ الجَاه والسُّلطان.. فإنْ يسَّرَ اللهُ الأمرَ وتمَّ اللقاءُ المُنتَظَرُ فإنّنا نرى صاحبَ الحاجة قد دخَلَ في مكان اللقاء وهو في شيءٍ من الرَّهبة والاضطراب؛ لأنَّ الوقتَ الذي تمَّ تحديدهُ له ضَيِّقٌ وقصيرٌ ويخشى ألَّا يَكفيَهُ لِعَرضِ حالِهِ ومسألتِهِ!! وبالعودةِ لِمُقَدِّمَات اللقاء وتفاصيلِهِ فإنَّنَا نرى صاحبَ الجاهِ والسُّلطان هو الذي يُحَدِّدُ وقتَ اللقاء ومكانَه وكيفيَّتَهُ، وهو الذي يديرُ الجَلسَةَ ويبدؤها وينهيها سواءٌ أكان ذلك بِكَثرَةِ نَظَرِهِ للسّاعةِ التي في يده أو بتكرار النَّظَرِ إلى هاتفه الجَوَّال الذي يضعُ بجانبه على سطح المكتب، أو باعتذارٍ دَمِثٍ من صاحبِ الحاجة راجعٍ لامتلاء جدول مواعيده...

وفي الأغلب الأعمِّ مِن مثلِ هذه اللقاءاتِ يخرجُ صاحبُ الحاجة خالي الوِفَاضِ، ويدخلُ مرحلةً من الانتِظَارِ والتَّرَقُّبِ لما ينجمُ عن هذا اللقاء، وهو يعلمُ تماماً أنّه لن يحصُلَ على نتيجةٍ يتوقَّعُها إلَّا إذا كانت "الواسطةُ" حاضرةً فعّالةً تستميلُ قلبَ صاحبِ الجاهِ والسُّلطانِ وتستدرُّ عطفَهُ بطرائقَ لا يعلَمُها إلا الله وكلاهما.

وأمَّا في لقاءِ صاحبِ الحاجَةِ مع اللهِ تعالى فَمَا تَقَدَّمَ كلُّهُ غيرُ موجودٍ؛ ففي لقاء الله عند دعائِه تعالى نرى أنَّ صاحبَ الحاجةِ هو الذي يختارُ وقتَ اللقاء والدُّعاء ومكانَه وكيفيّةَ هذا اللقاء سواءٌ أكان ذلك بِسُجُودٍ أو رُكوعٍ أو صَلاةٍ أو خُلوَةٍ أو بُكاءٍ.. وصاحبُ الحاجةِ هو الذي يبدأُ اللقاءَ والدُّعاءَ وينهيهِ، وكذلك فإنَّهُ هو الذي يتحدَّثُ ويتحدَّثُ ويرفعُ صوتَهُ أو يخفضُهُ ويدعو ويدعو ويُنادي ويَستغيثُ، واللهُ تعالى يسمعُ ويَرى وهو سميعٌ قريبٌ مُجيبٌ.

وفي اللقاء مع الله تعالى يعلمُ صاحبُ الحاجةِ أنَّ مطالبَهُ و دعواتِهِ مُجَابةٌ لا محالةَ - ما لم يكنْ في ذلك إثمٌ أو استعجالٌ أو قطيعةُ رحمٍ - وأنّ ما طَلَبَهُ مِن الله سينالهُ ويأخذه دونَ أدنى شكٍّ ، ولو بعدَ حينٍ...

ولَئِن استحضَرَ صاحبُ الحاجة هذا الاعتقادَ وعَزَمَ في الدُّعاء طابَ اللقاءُ وصفا، لقاءٌ يَشعُرُ صاحبُ الحاجة فيه بأنّ له قيمةً وكرامةً وأنّ كلامه مسموعٌ ومطلبَهُ مُجابٌ، وفيه من راحة النفس وهدأة القلب ما فيه. في لقاء الله ليست هناك ساعةٌ تطاردُ صاحبَ الحاجةِ دقائقُها، ولا هاتفٌ جَوَّالٌ يقطعُ كلام العبد ودعاءَه كُلَّ دَقيقةٍ ودَقيقةٍ.

وفوقَ هذا كُلِّهِ وذاكَ نرى - في لقاء الله - أنّ صاحب الحاجة هو الذي يديرُ اللقاءَ ويُنَمِّقُ الكلام ويُجَمِّل اللقاءَ بِخُشُوعٍ ودُمُوعٍ وإعلانِ تَوبةٍ واستغفارٍ.

ومن اللطائف في ذِكر لقاء الله تعالى أنّهُ جلَّ وعلا يُحِبُّ مَن أحبَّ لقاءه وأنَّهُ يغضبُ إذا ترك العبدُ دعاءه، وعلى خِلافِ العَبدِ صاحبِ الجاهِ والسُّلطانِ الذي يغضبُ إذا ألحَّ صاحبُ الحاجةِ في مسألته وكرَّرَ مطالبَه فإنَّ اللهَ تَعَالى يُحِبُّ من عبده الإلحاحَ في مسألتِهِ وتكرارَ مطالبِهِ، وقد كان هذا دأبَ نَبِيِّنَا - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - في دعائه الله عزَّ وجَلَّ؛ فقد كانَ يُلِحُّ في الدُّعاءِ ويُكَرِّرُهُ ثلاثاً.

لَرُبَّما يغيبُ صاحبُ الجاهِ والسُّلطان ويُسافرُ وينسى ما وَعدَ صاحبَ الحاجةِ مِن أنَّهُ سَيُحَقِّقُها له، ولكنَّ اللهَ تَعَالى لا يغيبُ ولا يأفلُ ولا يسافرُ ولا يَنسى وحاشاهُ جلَّ وعلَا أن ينسى (ومَا كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (مريم: 49). هو قريبٌ لا تفصلُهُ عن أصحاب الحاجاتِ والمَطَالبِ الفواصلُ، ولا تمنعهُ عنهم الموانعُ بل هو أقربُ إليهم مِن حَبلِ الوريد، وهو يبسطُ يدَهُ بالليل ليتوبَ مُسيءُ النَّهار، ويبسطُ يدَهُ بالنّهار لِيَتوبَ مُسيءُ الليل، ويداهُ مبسوطتان يُنفقُ كيفَ يشاءُ، ولو أنَّه أعطى الخَلقَ كُلَّهُم مسألتَهُم وقضى حاجاتِهم لما نَقَصَ ذلك مِن مُلكِهِ شيئاً، وفوقَ هذا كُلِّهِ وذاكَ فهوَ يَستحيي إذا رفعَ صاحبُ الحاجة إليه يديهِ بالدُّعاء أن يَرُدَّ عليه يديه صِفراً خائبتين...

لَعَمْري إنَّ هذه اللطائفَ الرّبّانيّةَ التي تقدَّمَت تَتَطَلَّبُ مِنَّا - ونحنُ أصحاب الحاجات والمطَالب التي لا تنتهي - أَن نُجيدَ بَل نُتقِنَ الدُّعاءَ ونُحسِنَ اللِّقَاءَ والطَّلَبَ.

ولَئِنْ كانَ صاحبُ الجَاهِ والسُّلطانِ يُحِبُّ مَن صاحبِ الحاجةِ أَن يَتَقَرَّبَ إليه ويمدحَه ويُطريَه ويتودَّدَ إليه بِمُقَدِّماتٍ مِن المَدحِ والإطراءِ ، فإنَّ اللهَ يُحِبُّ مِن صاحبِ الحاجةِ أن يتقرَّبَ إليه بالنَّوافِلِ حتَّى يُحِبَّهُ ويُعلِمُهُ ويُعَلِّمُهُ أنَّه ما تقرَّبَ إليهِ بشيءٍ أحبَّ إليه مِمَّا افترَضَهُ عليه، ولعلَّ هذا هو شاهدُنَا الرئيسُ وحَجَرُ الأَساسِ الذي نَبني عليهِ دراستَنَا هذه؛ فقد فَرَضَ اللهُ تعالى على صاحبِ الحاجةِ وعلَينَا عندَ دعائِه وطَلَبِ حاجتِنَا ومسألَتِنا أن نَدعُوَهُ بأسمائِهِ الحُسنى فقال: (ولله الأَسمَاءُ الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا) (الأعراف: 180). ولَعَلَّ هذهِ الجُزئِيَّةَ هي القاسمُ المُشتَرَكُ الأكبرُ بين دُعائِنا صَاحبَ الجَاهِ والسُّلطَانِ وبينَ دُعائِنا اللهَ سُبحَانه وتَعَالى ؛ وبيَانُ ذلك أنَّ صاحبَ الجاهِ والسُّلطانِ لا يَقبَلُ أن يَدعُوَهُ صاحبُ الحاجةِ باسمِ غَيرِهِ مِن أصحابِ الجَاهِ والسُّلطانِ، ولا يَقبَلُ أن يَصِفَهُ بأوصَافٍ لا تليقُ بِهِ ، فاللهُ تَعَالى أَولَى - ولله المَثَلُ الأَعلى - أَنْ نُنَادِيَهُ ونَدعُوَهُ ونَستغيثُهُ ونَستَعِينَهُ بأسمائِهِ الحُسنَى

التي لا تَنبَغي إلَّا لهُ ، وَبِصِفَاتِهِ العُلا الكامِلاتِ التي لا تليقُ إلَّا بِهِ جَلَّ جَلَالُه (قُلْ ادعُوا اللهَ أَو ادعُوا الرَّحمَنَ أَيّاً مَا تَدعُو فَلَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَى) (الإسراء: 110).

أمَّا بعدُ؛ فإنّ للدُّعاء في اللُّغة العربيّة معاني واضحةً مُحَدَّدةً، وبينها وبين معناه الاصطلاحي من التّقارب والارتباط الشّيء الكثير.

وكلمةُ الدُّعاء في الأصل مصدرٌ مُشتَقٌ من قولك: دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً، وهو أن تُميلَ الشيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكونُ منكَ (القزويني، 1004، ج2، ص279).

وقال ابن منظورٍ: "دعا الرجلَ دَعوًا ودعاءً: ناداه. والاسمُ: الدَّعوة. ودعوتُ فلانًا: أيْ صِحتُ به واستدعيتُهُ (ابن منظور، 1311، ج3، ص205).

وأمَّا الدُّعاء في الاصطلاح الشّرعيّ فقد عُرّف بعدَّةِ تعريفاتٍ كان مِن أبرزها تعريفُ الخَطَّابيّ في كتابه الشّهير " شأن الدُّعاء " إذْ قال:

"معنى الدُّعاء استدعاءُ العبدِ ربَّه عزَّ وجلَّ العنايةَ، واستمدادُه منه المعونةَ. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرُّؤ من الحول والقوّة، وهو سِمَةُ العبوديّة، واستشعارُ الذِّلَّةِ البشريَّةِ، وفيه معنى الثناء على الله عزَّ وجلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه" (الخطّابيّ، 988، ص4).

وقدَّم ابنُ منظورٍ للدُّعاء تعريفاً لطيفاً مُختَصَراً فقالَ: الدُّعاء "هو الرغبة إلى الله (عز وجل)" (ابن منظور، 1311، ج5، ص250).

ونستهلُّ موضوعنا بتوطئةٍ لطيفةٍ جميلةٍ مُفيدةٍ تختصرُ لنا وعلينا الكثيرَ من الكلام والتّعريفات حَولَ موضوع أسماء الله الحُسنى وصفاتهِ العُلا كان قد ذكرها العالِمُ الجليلُ والمُفَسِّرُ المشهور عبد الرَّحمن السّعدي – رَحمَهُ اللهُ - في تفسيره للآية السّابقة حيث قال:" هذا بيانٌ لعظيمِ جلالهِ وسعةِ أوصافِهِ، بأنَّ له الأسماء الحُسنى، أي: لَهُ كُلُّ اسمٍ حَسَنٍ، وضابطُهُ: أنَّه كلُّ اسمٍ دالٍ على صِفَةِ كمَالٍ عظيمةٍ، وبذلك كانت حُسنى، فإنها لو دلَّت على غير صفةٍ، بل كانت علماً محَضاً لم تكُنْ حُسنى، وكذلك لو دلَّت على صفةٍ ليست بصِفَةِ كمالٍ لم تكُن حُسنى، فكلُّ اسمٍ من أسمائه دالٌّ على جميع الصّفة التي اشتُقَّ منها، مُستغرقٌ لجميع معناها. وذلك نحو العليم الدالّ على أنّ له عِلماً محُيطاً عامّاً لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقَال ذرَّةٍ في الأرض ولا في السماء. وكالرّحيم الدالّ على أن له رحمةً عظيمةً، واسعةً لكلّ شيءٍ. وكالقدير الدالّ على أنّ له قدرةً عامّةً، لا يعجزها شيءٌ، ونحو ذلك. ومن تمام كونها "حُسنى" أنه لا يُدعى إلّا بها، ولذلك قال: فَادْعُوهُ بِهَا، وهذا شاملٌ لدعاء العبادةِ، ودعاء المسألةِ، فيُدعى في كلّ مطلوبٍ بما يناسبُ ذلك المطلوبَ، فيقول الداعي مثلاً: اللّهُمَّ اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتُبْ عَلَيَّ يا توَّابُ، وارزقني يا رزّاق، والطُف بي يا لطيفُ ونحو ذلك" (السعدي، 1956، ج1، ص310).

وينبغي على المسلم عند توجهّه بالدعاء لله عزّ وجلّ بأسمائه الحُسنى أن يعتقد جازماً أن الله تعالى سوف يستجيب لدعائه ولو بعد حين؛ لأنَّ الدُّعاءَ إذا اجتمعت فيه الشروط المطلوبة وانتفت عنه الموانع فإنه يستجاب لصاحبه لا محالة؛ لوعد الله سبحانه بذلك، والله لا يخلف وعده كما قال: {وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (الرُّوم: 6).

ولكنَّ كيفيَّةَ وزمانَ ومضمونَ الاستجابةِ هو الذي يختلفُ مِن شخصٍ إلى شخصٍ في إجابة الله تعالى لدعائهم، وأنَّ العبدَ الذي يدعو ربَّهُ تعالى لا يخيبُ مسعاه أبداً حيث أنّ له واحدةً مِن ثلاثٍ، كما جاءت بذلك الأحاديثُ الصِّحَاحُ ؛ فَعَن أبي سعيدٍ الخدري - رضي اللهُ عنه - أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: مَا مِن مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحمٍ إلَّا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاثٍ: إمَّا أن يُعَجِّلَ له دعوته، وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة، وإمَّا أن يصرفَ عنه من السوء مثلَها، قالوا: إذاً نُكثِرُ، قالَ اللهُ أكثرُ.

"وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مَا مِن مؤمنٍ ينصبُ وجهَهُ إلى الله تعالى يسأله إلّا أعطاهُ إيّاها إمّا أن يَجعلها له في الدُّنيا، وإمّا أن يدَّخِرَها له في الآخرة ما لم يَعجَلْ، قالوا ومَا عَجَلَتُهُ؟ قال يقولُ دعوتُ اللهَ (عزَّ وَجلَّ) فلا أراه يُستجابُ لي" (البخاري، 1466، الحديث رقم 5981، كتاب الدّعوات).

إذاً فإنَّ مَا تقدَّمَ مِن الأحاديث الشريفة تُبَشِّرُ المؤمن بأنّ دعاءَه لله لن يضيعَ أبداً ولكنَّها تحدّدُ للمسلم الضَّوابط والشّروطَ اللازمةَ والمطلوبةَ لإجابة دعائهِ، كَما تُحَدِّدُ له الآلياتِ والوجوهَ التي تتحقَّقُ مِن خلالها إجابةُ دعائه، وذلك كُلُّهُ لكي لا ييأسَ ولا يقنطَ من رحمةِ الله، ولِكي يرى مدى محبّة الله تعالى لعبده، تلك المحبة التي تتجلى من خلال وعده الذي لا يخلف وكيف لا؟ وهو المدعوُّ الوحيدُ القادرُ على الاستجابة الكاملة والذي بيدهِ مقاليدُ السّموات والأرض وعنده مفاتيحُ الغيب لا يعلمُها إلاّ هو. وذلك كلُّه ليتوجّه العبدُ إليه وحده بالدعاءِ ولكي يترُكَ دعوةَ مَنْ سواه فإنهم لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وما تقدَّم كُله يجبُ أن يراه العبد الصادق في دعوته حبالاً يمددها الله تعالى إليه لكي تكون منجاةً له فلا يتعلق بسواه ولا يلجأ لغيره سبحانه وإنَّنا إذ نسوقُ هذه الكلمات ونوردُ هذه المبشرات الشرعية الدالة على استجابة دعاء الإنسان لله عزّ وجلّ بأسمائهِ وصفاتهِ فإنّه مِن المُهِمّ التَّنبيه إلى ما يلي:

أولاً: أن يختار الدّاعي في طلبهِ ومسألته من الله الاسمَ المُناسبَ من أسماء الله الحُسنى الذي يُناسب ويوافق طلبه ومسألته. فيقول الدّاعي في دعائه (مثلاً): يا غفّارُ اغفر لي، يا رحيمُ ارحمني، يا رزّاق ابسط لي في رِزقي، يا شافي اشفني، وهكذا... ففي القرآن الكريم: {وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (آل عمران: 8). وفي الحديث: "اللهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ كريمٌ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عنّي" (الترمذي، 892، الحديث رقم 3513، باب العفو والعافية).

وتناسُبِ الاسمِ مع المَسألَةِ هي واحدةٌ من القضايا التي أكَّدَ العُلماءُ عليها، ويَقول ابنُ القَيِّم: "يُسأَلُ في كلِّ مَطلوبٍ باسمٍ يَكونُ مُقتضِياً لذلكَ المَطلوب، فيكونُ السَّائلُ مُتَوسِّلاً إليه بذلكَ الاسمِ، ومَنْ تأمَّلَ أَدْعِيةَ الرُّسلِ وَجَدَها مُطابِقةً لِهذا" (ابن قيم الجوزيّة، 1350، ج1، ص164). وَيقول: يَأْتي السَّائلُ بالاسمِ الذي يقتضيهِ المَطْلوبُ، وتَقول: اغفرْ لي وارْحَمْني إنَّكَ أنْتَ الغَفورُ الرَّحيمُ، ولا يَحْسُنُ أن تقول: إنَّك أنتَ السّميعُ البَصيرُ (ابن قيم الجوزيّة، 1350، ج1، ص164).

ويَقولُ ابنُ العَرَبيّ: "يُطْلَبُ بكلِّ اسْمٍ ما يليقُ بِه، تَقول: يا رَحيمُ ارْحَمْني، يا حكيمُ احْكُمْ لي، يا رَزَّاقُ ارْزُقْني، يا هادي اهْدِني" (ابن العربي، 1148، ج2، ص351). وَنبَّه ابنُ العَربيّ إلى أنَّ بَعْضَ أسْمائِهِ - تَبَارَكَ وَتَعالى - أَسْماءٌ عامَّةٌ تَصْلُحُ لأنْ يُدْعَى بِها في كُلِّ مَوضِعٍ، وفي كُل الأمور، مثل: اللهُ، الرَّبُّ.

وإذا كان الدُّعاء باسمه تعالى الأعظم، طُلِبَ به كلُّ شيءٍ وذلك لِتَضَمُّنِهِ لمعنى كُلِّ اسمٍ، والعلمُ عند الله تعالى. وإذا كان العبدُ مصَمِّماًعلى أن يدعوَ الله تعالى باسمِهِ الأعظم وهوَ – كما هوَ حالُنَا نحنُ – لا يعرف أيّاً مِن أسماء الله تعالى هو الأَعظَمُ فَليدعُ بواحدٍ من الأسماء الإلهيّة الواردة في الأحاديث التّالية فإنَّ فيها اسم الله الأعظم كما أخبَرَنَا الحبيبُ المُصطفى، (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم):

1. وَرَدَ تحديدُ آيتَيْ البقرة وآلِ عمرانَ اللَّتينِ وَرَدَ فيهما اسمُ الله الأعظمُ، فَقدْ رَوَى الترمذيُّ وأبو داودَ وابنُ ماجةَ والدَّارَميُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن أسماء بنت يزيدٍ رضيَ الله عنها، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "اسمُ اللهِ الأعظمُ في هاتين الآيتين: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (البقرة: 163). وفاتحة آل عمران: {الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (آل عمران: 2،1) (الألباني، 1999، ج1، ص229).

2. عن أنسٍ أنَّه كانَ مع النبيّ- صلى الله عليه وسلَّم- جالساً، ورَجُلٌ يصلّي، ثم دعا: "اللهمَّ إنِّي أسألكَ بأنَّ لكَ الحمدَ، لا إله إلَّا أنتَ، المنّانُ، بديعُ السموات والأرض، يا ذَا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم، فقالَ النبيُّ (صلّى اللهُ عليه وسلم): لقد دعا اللهَ باسمهِ الأعظمِ الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعطَى" (التّرمذي، 892، الحديث رقم 3544، ج5).

3. عن بُرَيْدةَ الأسلميّ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ رَجُلاً يدعو وهو يقولُ: "اللهمَّ إنِّي أسألك بأنِّي أشهدُ أنَّك أنتَ اللهُ، لا إلهَ إلَّا أنتَ الأحدُ الصَّمدُ الذي لم يَلِدْ، ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُواً أحدٌ. فقال: والذي نفسي بِيَدِهِ لقَدْ سألَ اللهَ باسمهِ الأعظمِ، الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ بهِ أعطَى" (التّرمذي، 892، الحديث رقم 3544).

ثانياً: ضرورة أن يعتقدَ الدّاعي اعتقاداً لا شكَّ ولا رَيبَ فيهِ أنَّ اللهَ تعالى سيَستَجيبُ لدُعائهِ. وأن يستَحضِرَ الدَّاعي قولَه- صلّى اللهُ عليه وسلَّم – والذي استَهَلَّهُ باسمَينِ وصِفَتين من أسماء الله الحُسنى وصِفاتِه العُلا -: "إنَّ ربَّكُم تباركَ وتعالى حيٌّ كريمٌ يستحيي مِن عبدِهِ إذا رَفَعَ يَديه إليهِ أَنْ يَرُدَّهما صِفراً" (الألباني، 1999، الحديث رقم 1757، ج1). وجاء في لَفظٍ "صِفراً خائبَتَين" (التّرمذي، 892، الحديث رقم 3556، ص448، ج5). وكلمة " صِفراً " هنا تعني فارِغَة.

ثالثاً: ضرورة أن يستحضر الداعي أثناء دعائه الله عزَّ وجلَّ أنّ الذي يختارُ ويحدّدُ كيفيَّةَ وزمانَ الاستجابةِ هو اللهُ تعالى وحدَهُ وأنَّهُ هوَ القادرُ وهو المالكُ وهو ألطَفُ وأرأفُ بالعبد مِن العبد بِنَفسِهِ كما أنَّه عزَّ وجلَّ علاَّمُ الغيوب وهو الأعلمُ بمصلحةِ العبدِ وبما يُصلِحُ حالَهُ ويناسبُها.

وكثيراً ما تتعَلَّقُ النفسُ بأشياء قد لا يكون الخيرُ فيها، فيصرفُها اللهُ برحمته وحُسنِ تدبيره للعبد، وبعضُ الناسِ - لِقِصَرِ نَظَرِهم - لا يشعرون أنَّ النّعمةَ في المنعِ أحياناً تكونُ أعظمَ مِمَّا هي في العطاء، بل قد يكونُ هلاكُ الإنسان في أن يُعطَى وخيرُهُ في أن يُمنَعَ، وقد قال سبحانه: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (البقرة: 216)، وقال في آيةٍ أُخرى: {وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً} (الإسراء: 11).

يقول الرَّازي - رحمَهُ اللهُ – في تفسيره لهذه الآيةِ: يُحتَمَلُ أنْ يكون المُرادُ: أنَّ الإنسان قد يُبالغ في الدُّعاء طَلَبَاً لشيءٍ يَعتقدُ أنَّ خيرَهُ فيه، مع أنَّ ذلك الشيءَ يكونُ مَنبعَ شَرِّهِ وضَرَرِه، وهو يُبالغُ في طَلَبِهِ لِجَهلِهِ بحالِ ذلك الشَّيء، وإنَّما يُقدِمُ على مِثلِ هذا العملِ لِكَونِهِ عَجُولاً مُغتَرّاً بِظَواهرِ الأمور وغيرَ مُتَفَحِّصٍ عن حقائقها وأسرارها (الرازي، 1999، ج2، ص305).

ويقولُ السَّعديُّ – رحمهُ اللهُ - في تفسيره: الغالبُ على العبد المؤمن أنه إذا جَلَبَ أمراً من الأمور فَقَيَّضَ اللهُ له مِن الأسباب ما يصرفُهُ عنه أنَّهُ خيرٌ له، فالأَوفَقُ له في ذلك أن يَشكُرَ اللهَ، ويجعلَ الخيرَ في الواقع، لأنَّهُ يعلمُ أنَّ الله تعالى أرحمُ بالعبدِ مِن نفسِهِ، وأَقدَرُ على مصلحةِ عبدِهِ منهُ، وأعلمُ بمصلحتِهِ منه؛ كما قال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (البقرة: 216)، فاللاّئقُ بكُم أن تتمشَّوا مع أقدارِهِ، سواء سَرَّتكم أو ساءتكُم (السعدي، 1956، تفسير سورة البقرة الآية رقم 16).

رابعاً: أن يستحضرَ العبدُ أسماء الله الحُسنى (السميع والبصير القريب والمجيب والقادر) أثناء دعائه وأن يعتقد جازماً أنَّ الله تعالى المُسَمَّى والمُتَّصِفَ بهذه الأسماء الحُسنى المذكورة حقيقةً سوف يُجيبُ دعاءه. والتّركيز على كلمة (جازماً) هنا جاء لكي لا ينفذَ الشيطانُ إلى المُسلم الدّاعي من باب الترَدُّدِ واستبطاءِ إجابة الدُّعاء (لكنكم تستعجلون)، (البخاري، 1466، كتاب الإكراه، الحديث رقم 6544). فيقومَ بإضعافِهِ وتقنيطِهِ مِن رحمةِ الله عزَّ وجلَّ الرحمن الرحيم، وتشكيكِهِ في إجابة الله لدعائه، وذلك كلُّهُ لِيَجعَلَ مِن المُسلم خِرقةً باليةً مُلقَاةً عند الأبواب والمداخلِ وجسداً بلا رُوحٍ، أو فَلنَقُلْ جسداً بِرُوحٍ يملؤها الانهزامُ والاستسلامُ... فالجَزمُ واليقينُ بأنَّ الله سميعٌ بصيرٌ قريبٌ مُجيبٌ قادرٌ هو وحدَهُ الكفيلُ بِحَفظِ المُسلم من

هذه الوساوسِ والمكائدِ والمصائدِ الشيطانيّةِ ، والاعتِقادُ الجازمُ بهذه الأسماءِ الإلهيّة وحدَهُ الكفيلُ بإضعافِ بل بإذابةِ كَيدِ الشّيطان قال تعالى: {إنَّ كيد الشَّيطانِ كان ضعيفاً} (النساء: 76).

"فهذهِ كُلُّها وساوسُ شيطانيَّةٌ لا فائدة منها، فلو رَكَنتَ إليها أفسدتْ عليك دينَكَ، ولَرُبَّما جَعَلَتْكَ - لا قَدَّرَ اللهُ - تتركُ كلَّ أعمالِ الشَّرعِ من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغيرِها وقد يقولُ لك الشَّيطانُ: لماذا تُصَلِّي وتُتعِبُ نفسَكَ وأنتَ لستَ ضامناً الجنَّةَ أصلاً" (الفتوى رقم 276448 للجنة الإفتاء الدائمة لموقع إسلام ويب).

ولعلَّ ما تقدَّمَ ذِكرُه مِن تَنبيهٍ على مسألة اختيار الدّاعي للاسم المُناسبِ لمسألتِهِ وحاجتهِ وطلَبِهِ من الله يقودُنا إلى مسألةٍ هامّةٍ جداً لعلّها تقعُ قريباً من هذا الباب ألَا وهي مسألةُ "دُعاء الله تعالى بِصِفَاتِهِ العُلا" حيث وَرَدَتْ العديدُ من الآياتِ القرآنيّة الكريمة والأحاديثِ النبويّة الشريفة التي نلمسُ فيها بكلّ جلاءٍ ووضوحٍ دعاءَ الله تعالى بصفاته العُلا، إضافةً إلى دعائه سبحانَه بأسمائه الحُسنى حيث سنرى- في المَطلَبِ القادمِ – في العديدِ منها مدى تناسب دعاء المسألة مع الصِّفَةِ التي تناسبُها من صفات المولى عزَّ وجلَّ... ولم يَقِف الأمرُ عند " جواز أم عدم جواز دعاء الله تعالى وسؤاله بصفاته العلا "لا فقد ذَهَبَ بعضُ العلماء - رحمة الله عليهم - إلى القول بِجَوَازِ الحَلْفِ بأسماء الله وصفاته العُلا.

ولا بأسَ بالتّعريج – ولو في سطورٍ معدوداتٍ – على بعضِ الأدِلّةِ و الشَّواهدِ التي يُعضَدُ بها القولُ بجواز الحلف بأسماء الله تعالى الحُسنى وصفاتِهِ العُلا؛ حيثُ دَلَّت النُّصوصُ الواردَةُ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ على جَوازِ الحَلْفِ بِصِفاتِ اللهِ تَعالى، وهِيَ نُصوصٌ صَحيحَةٌ واردَةٌ في صَحيحَيّ البُخارِيّ ومُسْلِمٍ، و قَد اسْتَدَلَّ بِها العُلَماءُ على ذلِك: يَقولُ الإمامُ البُخارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - في" بابُ الحَلْفِ بِعِزَّةِ اللهِ وَصِفاتِهِ وكَلِماتِهِ" . وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: كانَ النَّبيّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقولُ: أَعوذُ بِعِزَّتِكَ. وقالَ أبو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيّ، صلى اللهُ عليهِ وسلَّم: (يَبْقى رَجُلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ فَيَقول: يا رَبُّ اصْرِفْ وَجْهي عَنِ النَّارِ، لا وعِزَّتِكَ لا أسْأَلُكَ غَيْرَها) (العسقلاني، 1449، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزّة الله وصفاته، ص554). وقال أبو سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه: قالَ النَّبِيُّ (صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم): (قالَ اللهُ: لَكَ ذلِكَ وعَشْرَةُ أَمْثالِهِ) (العسقلاني، 1449، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزّة الله وصفاته، ص554). وقالَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ:(وَعِزَّتِكَ لا غِنىً بِيْ عَنْ بَرَكَتِكَ)" (العسقلاني، 1449، كتاب الغُسل).

ومِنَ الأدلَّةِ على جواز الحلف بأسماء الله تعالى الحُسنى وبصفاتهِ العُلا حَديثُ "يُؤْتى بأَشَدِّ النَّاسِ كانَ بلاءً في الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ، فيقول أصبغوه صَبغةً في الجنّة، فيصبغونه فيها صبغةً، فيقول اللهُ عزَّ وجَلَّ:" يا ابنَ آدَمَ هلْ رَأَيتَ بُؤْساً قَطْ أَو شَيْئاً تَكْرَهُه؟ فيقول: لا وعِزَّتِكَ ما رأيتُ شيئاً أكرهُه قَطُّ، ثم يُؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: أصبغوه فيها صَبغةً، فيقول: يا ابنَ آدمَ هلْ رأَيتَ خَيْراً قَطُّ, قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ؟ فيقولُ: لا وعِزَّتِكَ ما رَأَيتُ خَيْراً قَطّ، ولا قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ" (الألباني، 1999، ج4، ص155).

ومِن الأدِلَّةِ كذلكَ ما جاء في "فَتْحِ الباري" للحافِظِ ابنِ حَجَرٍ: "وقالَ ابنُ هبيرَةَ في كِتابِ الإجْماعِ: أَجْمَعوا على أَنَّ اليَمينَ مُنْعَقِدَةٌ باللهِ وبِجَميعِ أَسْمائِهِ الحُسْنى وبِجَميعِ صِفاتِ ذاتِهِ كَعِزَّتِهِ وجلالِهِ وعِلْمِهِ وقُوَّتِهِ وقُدْرَتِهِ واسْتَثْنى أبو حنيفةَ عِلْمَ اللهِ فَلَمْ يَرَهُ يَميناً وكذا حَقُّ اللهِ... وقالَ عِياضٌ: لا خِلافَ بَيْنَ فُقَهاءِ الأَمْصارِ أَنَّ الحَلْفَ بِأَسْماءِ اللهِ وَصِفاتِهِ لازِمٌ إلا ما جاءَ عَنِ الشَّافِعِيّ مِنْ اشْتِراطِ نِيَّةِ اليَمينِ في الحَلْفِ بالصِّفاتِ وإلا فلا كَفَّارَةَ (العسقلاني، 1449، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزّة الله وصفاته، ص554).

المَطلبُ الثاني:

وُجوبُ التَّفريقِ بينَ دُعاءِ الله تعالى بأَسمائِهِ وصِفَاتِهِ وبَينَ دُعاءِ الصِّفاتِ بِعَينِهَا

بالعودة للحديث عن دُعاء العبد للهِ (سُبحانه وتعالى) بِصِفاتِهِ العُلا إضافةً لأسمائه الحُسنى، فإنّهُ من المُهِمّ هُنا التّنبيهُ إلى ضرورة التَّفريق بين دُعاء الله تعالى بِصِفاتِهِ وبينَ دُعاء الصِّفات نَفسِهَا؛ فالدُّعاء الأوّلُ جائزٌ بينما الثّاني مُحَرَّمٌ. وقَدْ نَبَّهَ أَهْلُ العِلْمِ على خَطَرِ هذِهِ المَسْأَلَةِ، قَديماً وحَديثاً؛ ومن ذلك قولُ شَيْخِ الإسْلامِ ابنُ تَيْميةَ رَحِمَهُ اللهُ: "إنَّ مَسْأَلَةَ اللهِ بِأَسْمائِهِ وصِفاتِهِ وكَلِماتِهِ جائِزٌ مَشْروعٌ كَما جاءَتْ بِهِ الأَحاديثُ، وأَمَّا دُعاءُ صِفاتِهِ وكَلِماتِهِ فَكُفْرٌ باتِّفاقِ المُسْلِمينَ، فَهَلْ يَقولُ مُسْلِمٌ: يا كَلامَ اللهِ اغْفِرْ لي، وارْحَمْني، وأَغِثْني، أَوْ أَعْني، أَوْ يا عِلْمَ اللهِ، أَو يا قُدْرَةَ اللهِ أَو يا عِزَّةَ اللهِ أَو يا عَظَمَةَ اللهِ ونَحْوِ ذلِكَ! (ابن تيمية، 1910، ج1، ص181).

ولرُبَّما يسأل سائلٌ: كيفَ نَفهمُ – إذن - ما جاءَ في النُّصوصِ مِنَ الاسْتِعَاذَةِ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامّاتِ، وبِرِضاهُ مِنْ سَخَطِهِ، ونَحْوِ ذلِكَ؟ والجَوابُ على هذا السُّؤال أَنَّ هذا مِن الاسْتِعاذَةِ باللهِ مَعَ التَّوَسُّلِ إلَيْهِ بهذِهِ الصِّفاتِ.

فَقَوْلُهُ - صلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّم - في الحَديثِ:"بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغيثُ" (الألباني، 1999، ج1، ص449) كانَ مِنْ قبيلِ التَّوَسُّلِ لا مِنْ قبيلِ دُعاءِ الصِّفَةِ، وهو يساوي في معناهُ قولَنا "أَسْأَلُكَ يا اللهُ بِرَحْمَتِكَ"، وقد وَرَدَ مِثلُ ذلك في دُعاءِ الاسْتِخارَةِ: "أَسْتَخيرُكَ بِعِلْمِكَ وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ" (العسقلاني، 1449، كتاب الدعوات، باب الدّعاء عند الاستخارة)... ومِثْلُ الاسْتِعاذَةِ بالصِّفَةِ، قَوْلُهُ صلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ: "أَعوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ وبِمُعافاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ" (النيسابوري، 875)، وكَقَوْلِهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ: "أَعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامّاتِ" (النيسابوري، 875، الحديث رقم 4888).

ولمزيدٍ من التّوضيح وتجليةِ الأمر في بيان الفَرقِ بين دعاء الله تعالى و بين دُعاء الصِّفَة بذاتها نقول إنَّ عبارة "أَسْتَغيثُ رَحْمَتَكَ". تعني أَطْلُبُ غَوْثَ رَحْمَتِكَ، وهذا دُعاءٌ للرَّحْمَةِ التي هِيَ صِفَةٌ.

أمَّا عبارة "يا حَيُّ يا قَيُّومُ بكَ أَسْتَغيث". فهيَ دُعاءٌ للحَيِّ القَيُّومِ فيهِ طَلَبُ الغَوْثِ، وهوَ يعني "يا حَيُّ يا قَيُّومُ أَطْلُبُ الغَوْثَ". فَأَسْتَغيثُ اسْتِفْعالٌ دَالٌّ على طَلَبٍ.

كما إنَّ عبارة " يا حَيُّ يا قَيُّومُ - بِرَحْمَتِكَ - أَسْتَغيثُ " إنّما هي دُعاءٌ لِلحَيِّ القَيُّومِ فيهِ طَلَبُ الاسْتِغاثَةِ كَما في المِثالِ السَّابِقِ وفيهِ أَيْضاً تَوَسُّلٌ لِذلِكَ الطَّلَبِ بالرَّحْمَةِ، وهو يختلِفُ تمام الاختلاف عن قولِنا: "يا حَيُّ يا قَيُّومُ أَسْتَغيثُ رَحْمَتَك"، فَهذا طَلَبٌ مِنَ الصِّفَةِ، ولأَنَّ الاسْتِغاثَةَ التي هِيَ طَلَبُ الغَوْثِ تَتَعدَّى بِنَفْسِها إلى المَفْعولِ ولا تَحْتاجُ لأَداةِ الجَرِّ إذا كانَ المُرادُ تَعَدِّيها لِلمَفْعولِ. ومن هُنا نفهمُ قولَ اللهُ تَعالى: (إِذْ تَسْتَغيثونَ رَبَّكُم) (9: الأنفال) ولَمْ يَقُلْ بِرَبِّكُم.

وبِهَذا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الحَديثَ لَيْسَ فيهِ اسْتِغاثَةٌ بالصِّفَةِ بِحالٍ من الأحوال.

ولرُبَّما يعترِضُ مُعترِضٌ على ما تقدَّمَ مِن كلامنا فيقول: إذا كانَ دُعاءُ صِفَةٍ مِنْ صِفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كُفْراً، فَكَيْفَ نَفْهَمُ الأَدْعِيَةَ مِثْل "أَعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ ما أَجِدُ وأُحاذِرُ(النيسابوري، 875، الحديث رقم 2202)، "وأَعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ"؟ (النيسابوري، 875، الحديث رقم 4888).

وفي الإجابة على هذا الاعتراضِ نقول: إنَّ قولهُ – صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ – "أعوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمُعافاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ"، كُلُّ هذا اسْتِعاذَةٌ بِصِفاتِ اللهِ، ولكنَّ المُرادُ هُنا هو المَوْصوفُ تباركَ وتعالى. وقولُه – عليه الصَّلاة و السّلامُ – "أَعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ " فَهوَ مِنْ بابِ التوَسُّلِ بِعِزَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلى النَّجاةِ مِنْ هذا المَرْهوبِ الذي اسْتَعَاذَ به الإنسان صاحب الدُّعاء، وكذلِكَ نقولُ في قوله – عليه الصّلاة والسّلام - "بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ"، وكذلِكَ قولُهُ "يا حَيُّ يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغيث"، فلا يعني أَنَّ الإِنْسانَ يَسْتَغيثُ بالرَّحْمَةِ المُنْفَصِلَةِ عَن اللهِ، لكنَّ هذا مِنْ بابِ الوَسيلَةِ، و مِنْ بابِ التوَسُّلِ إلى اللهِ بِصِفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ المُناسِبَةِ للمُسْتَعاذِ مِنْهُ أَو للمَدْعُوّ، ولَيْسَ دُعاءَ صِفَةٍ. فَدُعاءُ الصِّفَةِ أَنْ تَقولَ "يا رَحْمَةَ اللهِ ارْحَميني"، " أو يا قُدْرَةَ اللهِ أَعْطيني" وما أَشْبَهَ ذلِكَ، فهذا هُوَ المُحَرَّمُ. ولربّما يستَجِدُّ هنا اعتراضٌ آخَرُ يقولُ صاحبُهُ: إنَّ التَّوسُّلَ إلى الله تعالى بِصِفاتِهِ غيرُ جائزٍ ولا دليلَ عليهِ فكيفَ تُجيبونَ على ذلكَ؟

وهذا الاعتراضُ ليس جَديداً وليس بريئاً وهو أخطرُ الاعتراضات - التي يُجيبُ عليها هذا المَطلَبُ مِن البَحثِ - وذلك راجعٌ إلى أنَّ فيه فَصلاً للتَّوسُّلِ إلى الله تعالى بِصِفاتِه عَن دُعائهِ جَلَّ وعَلا بأسمائه وصِفاتهِ مِمَّا يستوجِبُ الوقوفَ عندهُ وتوضيحَ الحَقَّ والصَّوابَ فيه... وللردِّ عليه فإنَّنَا نورد الشَّواهد والأدلّة الشرعيّة التي تُثبتُ صحَّةَ التَّوَسُّل إلى الله تعالى بصِفاتِه العُلا، والتي مِنها ما يلي:

الدَّليلُ الأوَّل: حديثُ "يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" (العسقلاني، 1449، كتاب الجهاد والسِّير، الحديث رقم 2861).

فَعَن أَنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) (الترمذي، 892، الحديث رقم 3522، ج5، ص4023).

وفي حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله، إِنَّكَ تُكثِرُ أن تدعوَ بِهَذا الدُّعاءِ؟

فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عز وجل فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ) (الترمذي، 892، الحديث رقم 2140، ج4، ص16).

وقَولُهُ: (إِنَّ قُلُوبَ) تَعليلٌ لِسَبَبِ دَعوتِهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) وهي أَنَّ قُلُوبَ العِبَادِ بينَ إِصْبَعَينِ مِن أَصَابِعِهِ، مَنْ يَشَأْ يُضلِلْهُ، ومَنْ يَشَأْ يَهدِهِ، فَيَنبغي لِلْعَبدِ الإِكثَارُ مِن هَذهِ الدَّعواتِ المُهِمَّةِ التي تَتَعَلَّقُ بِأَجَلِّ مَقَامَاتِ العُبُودِيَّةِ.

الدَّليلُ الثّاني: حديثُ "اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ " (النّسائي، 915، الحديث رقم 7690، ج7، ص156).

ومعنى قوله: (صَرِّفْ قلوبَنَا علَى طَاعَتِكَ): أي ثبّت قلوبَنا، واصرِفها إلى طاعتِكَ ومَرضاتِكَ في كُلّ ما تحبُّهُ من الأقوال، والأعمال والأخلاق. ومعنى قولُهُ: على [طَاعَتِكَ] أيْ (أَنْ يَنقَلِبَ القَلبُ مِن طَاعَةٍ إلى طَاعَةٍ أُخرى، مِن صلاةٍ إلى صيامٍ إلى زكاةٍ) (النيسابوري، 875، الحديث رقم 4804)، فَسَأَلَ النَّبيُّ اللَّهَ تعالى الثَّبَاتَ على الدِّين جُملةً وتفصيلاً، وقَد دلَّ الحديث والذي بعده على أهميَّةِ التَّوسُّلِ إلى اللَّه تباركَ وتعالى بأفعالِهِ ومِنهَا (التَّصريف).

الدَّليل الثّالث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن أَبِي أَوْفَى: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْض أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ" (العسقلاني، 1449، كتاب الجهاد والسِّير، الحديث رقم 2861).

قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَر العَسقَلاني في "فَتح الباري بِشَرح صحيح البُخاري" عندَ شرحِهِ لهذا الحديث الشّريف: أَشَارَ بِهَذَا الدُّعَاء إِلَى وُجُوهِ النَّصْر عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللَّه بِأَيْدِيكُمْ) وَبِمُجْرِيَ السَّحَاب إِلَى الْقُدْرَة الظَّاهِرَة فِي تَسْخِير السَّحَاب حَيْثُ يُحَرِّك الرِّيح بِمَشِيئَةِ

اللَّه تَعَالَى، وَحَيْثُ يَسْتَمِرُّ فِي مَكَانه مَعَ هُبُوب الرِّيح، وَحَيْثُ تُمْطِر تَارَةً وَأُخْرَى لَا تُمْطِرُ، فَأَشَارَ بِحَرَكَتِهِ إِلَى إِعَانَة الْمُجَاهِدِينَ فِي حَرَكَتهمْ فِي الْقِتَال، وَبِوُقُوفِهِ إِلَى إِمْسَاك أَيْدِي الْكُفَّار عَنْهُمْ، وَبِإِنْزَالِ الْمَطَر إِلَى غَنِيمَة مَا مَعَهُمْ حَيْثُ يَتَّفِق قَتْلهمْ، وَبِعَدَمِهِ إِلَى هَزِيمَتهمْ حَيْثُ لَا يَحْصُل الظُّفُر بِشَيْءٍ مِنْهُمْ، وَكُلّهَا أَحْوَال صَالِحَة لِلْمُسْلِمِينَ.

وَأَشَارَ بِهَازِمِ الْأَحْزَاب إِلَى التَّوَسُّل بِالنِّعْمَةِ السَّابِقَة، وَإِلَى تَجْرِيد التَّوَكُّل، وَاعْتِقَاد أَنَّ اللَّه هُوَ الْمُنْفَرِد بِالْفِعْلِ.

المَطلبُ الثّالثُ:

لطائفُ ومُتَفرّقاتٌ وتنبيهاتٌ في الدُّعاء بالأسماء والصِّفات

إن من الثابت والمعلوم من خلال استقراء النُّصوص الشَّرعيّةِ في كُلّ من كتاب اللهِ عزَّ وجَلَّ وسُنَّةِ رسوله صلى الله عليه وسلم أنَّ دُعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته ينقسم إلى نوعين:

وأما الأول: فهو دعاءُ الثَّنَاء والعبَادة، وأمَّا الثاني فهو دعاء المَسألة.

والذي يُستَحسَنُ هوَ أن يلجأَ الإنسانُ عند سؤاله الله (عزَّ وجلَّ) إلى توظيف هذين النوعين من الدعاء؛ وذلك بأن يَجعلَ دعاءَ الثناء مُقدِمَةً وتوطئةً يبني عليها بعد ذلك دعاءه لله تعالى بالمسألة والطَلَبِ. ولعلَّنا نلمس ما يماثل هذا الترتيب في حياتنا اليومية- ولله المَثَلُ الأعلى - فإنّ واحدنا إذا أرَادَ طلبَ حاجةٍ أو قضاءَ مَصلَحَةٍ مِن المسؤول عنه، قدَّمَ له الأمرَ بمدحه وإطرائه والثناء عليه وإنزاله المنزلة التي يحبها وناداه وذكره بالصفات والألقاب التي يحبها وتليق به ثمَّ نراه بعد ذلك يعرض مسألته وحاجته التي يطلبُ منه تلبيتها وتحقيقها ممّا يساهم في استمالة المسؤول لتلبية طلبه.

ولئن كان هذا الأسلوب قائماً موجوداً بيننا نتعامل به مع من نرجو منهم قضاء حاجاتنا ومصالحنا من البشر، فإنّه من باب أولى أو من باب الأولى أن نوظف هذا الأسلوب والطريقة عندما نقفُ بين يدي الله سبحانه وتعالى طالبين منه قضاء حاجاتنا وإجابة دعواتنا.

أقولُ: إنّ هناك الكثير من المُقدِّمات التي يَجمُلُ بالمُسلم البدءُ بها قبلَ أن يُخَصِّصَ دعاءه بالمسألةِ بين يدَي المولى (عَزَّ وجَلَّ)، ومِنها ما يَتَمثَّلُ في إتيان الخطوات الآتية: (النّحلاوي، 2016، ص5):

البدءُ بِنِداءِ التَّوحيد لله تعالى قبل تخصيص الدعاء، ومِن ذلكَ على سبيل المثال ما يلي:

- أن ندعوه بـ" :لا إله إلا أنت" ثُمَّ نُجَدِّدُ طلَبَنا، كما في دعاء "سيّد الاستغفار"، وهو قولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (اللَّهُمَّ أنت ربّي لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك مِن شرِّ ما صنعتُ. أبوءُ لكَ بِنِعمَتِكَ عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت) (العسقلاني، 1449، كتاب الدّعوات، الحديث رقم 5947).
- أو ندعوه بأنه تعالى وليُّنا ومولانا، لا وليَّ لنا سواه سبحانه، كما في دعاء موسى -عليه السلام - طالبًا المغفرةَ لقومه حين أخذتْهُم الرَّجفةُ إذ دعا ربَّه :﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: 155) فأجاب اللهُ تعالى سُؤله، وأحياهم بعد موتهم، وغفر لهم ذنوبهم.
- التسبيح: كما في دعاء يونس – عليه السَّلام - وهو في بطن الحوت؛ قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87).
- الاستغفارُ وطلبُ العَفوِ والاسترحام، و قَد قِيلَ: إنَّ الرَّحمةَ أوسعُ من المغفرة والعفو، وهيَ كثيرًا ما تتلازم قبل أو خلال أو بعد الدعاء، وبدعائنا بها خُتِمَت سُورةُ البقرة، بختامٍ جاء في عظيمِ فضلهِ، وقد جاء في الصّحيحين قولُه، صلّى الله عليه وسلم: (مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتَاهُ) (العسقلاني، 1449، كتاب فضائل القرآن، الحديث رقم 4723) ولعلَّ مِن أسرار فضلهما تلك المناجاة لله تعالى، ندعوه بها سبحانه إذ نقرؤهما: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: 286) وأيُّ فضلٍ أكبرُ من أنَّه تعالى علَّمَنَا وحيًا أن ندعوه سائلين التجاوز عن بشريتنا المشوبة بالخطأ والنسيان، تفضيلًا لنا على أممٍ سبقتنا، وأنه قد علَّمَنَا أن ندعوه طالبين العفو والمغفرة والرحمة منه! كلها دفعة واحدة بين يدي دعائنا بالنصر، رباه، ما أكرمك! وما أضألنا وأفقرنا لهذا الفضل! بل وفوق كل ذلك وبحق إنك "مولانا" نطلب منك النصر المبين! سبحانك سبحانك غفرانك!
- ومن أساليب الدعاء: الحَمدُ، وهو يتلازم مع الإخلاص؛ قال تعالى :﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: 65)، وإن سورة الفاتحة لَهِيَ دعاءٌ يقدّم المسلم بين يديه ما ذكرناه من محامد وثناء وتمجيد لله تعالى قبل أن يسوق حاجته، وكذلكَ فإنَّ مِن أجلِّ الأدعية ما يجمع التسبيح والحمد والاستغفار سورة " النصر".

ولقد كانت سورة الفاتحة أسبقَ من غيرها من سور القرآن الكريم إلى الجمع بين دعاء الثناء والعبادة من جهةٍ وبين دُعاء الطلب والمسألة من جهةٍ أُخرى؛ فَفي الحَديثِ الذي يَرْوِيهِ أَبو هُرَيْرةَ عَنِ النّبيِّ- صلى الله عليه وسلم -أنَّه قال: "قالَ اللهُ (عزَّ وجَلَّ): قَسَمْتُ الصَّلاةَ بيني وبينَ عَبْدي نِصْفَين، ولِعَبْدي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ: {الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين}. قال اللهُ: حَمِدَني عَبْدي. فإذا قال: {الرَّحمنِ الرَّحيمِ}. قال: أثنَى عَليَّ عَبْدي. فإذا قال: {مالكِ

يَوْمِ الدِّين}. قال: مَجَّدني عَبْدي. وقالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إليَّ عَبْدِي. وإذا قَالَ: {إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعينُ}. قال: هذا بَيْني وبَيْنَ عَبْدي، ولِعَبْدي ما سَأَلَ. فإذا قال: {اهدنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ، صِراطَ الذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِم ولا الضَّالين} (الفاتحة: 5، 6، 7: الفاتحة). قال: هذا لِعَبْدي، ولعَبْدي مَا سَأَلَ" (النيسابوري، 875، الحديث رقم 395).

ويرى الدّكتور مُحمَّدُ بن إبراهيم الحَمَد أنَّ قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" (الأعراف: 180). يشملُ دعاءَ المسألةَ ودعاءَ العبادةِ معاً. ويوضِّحُ ذلك بقولهِ: "أما دعاء المسألة فإنَّ السّائل يسأل الله- تعالى- في كُلّ مطلوبٍ باسمٍ يُناسِبُ ذلك المطلوبَ ويقتضيه؛ فَمَن سَأَلَ رحمةَ الله ومغفرته دعاه باسم الغفور الرحيم، ومَن سأل الرزق سأله باسم الرزَّاق، وهكذا...

وأَمَّا دُعاءُ العبادةِ فهو التعبُّدُ لله تعالى بأسمائهِ الحُسنى، فَيَفْهَمُ السّائلُ (الدّاعي) أولاً معنى الاسم الإلهي الكريم، ثُمَّ يُديمُ استحضارَه بقلبهِ حتَّى يمتلىء قلبُه مِنهُ؛ فالأسماءُ الدَّالَّةُ على العَظَمَةِ والكبرياءِ تملأُ القلبَ تعظيماً وإجلالاً لله تعالى... والأسماءُ الدَّالَّةُ على الرحمة، والفضل والإحسان تملأُ القلبَ طَمَعَاً في فضلِ الله ورجاءَ رَوْحِه ورحمته.

والأسماء الدَّالَّةُ على الوُدّ، والحُبّ، والكمالِ تملأُ القلبَ محبَّةً، وَوُدّاً وإنابةً إلى الله تعالى. وأمَّا الأسماءُ الدَّالَّةُ على سعةِ عِلمِهِ ولطيفِ خُبرِهِ فإنَّها تُوجبُ مُراقبةَ الله والحياءَ منه وهكذا....

وهذه الأحوالُ التي تَتَّصِفُ بها القلوبُ هي أكملُ الأحوال، وأَجَلُّ الأوصاف، ولا يزالُ العبدُ يُجاهد نفسَه عليها حتّى تنجذِبَ نفسُه وروحُه بدواعيهِ مُنقادَةً رَاغبةً، وبهذه الأعمال القلبيَّة تَكمُلُ الأعمالُ البدنيَّةُ. وإذا ذُكِرَ اللهُ -عزَّ وجَلَّ- وأُثنِيَ عليهِ بِمَا هو أهلُه، فإنَّ ذلك يتضمَّنُ إظهارَ الذُّلِ، والمحبَّةِ، والسُّؤالَ بِلِسَانِ الحالِ؛ فكأنَّه يقولُ: يا ربُّ أَذكُرُكَ إجلالاً لكَ وَمحبَّةً ورجاءً... وهكذا يتبيَّنُ لنا معنى دعاءِ المَسألة ودعاءِ العبادة ومدى التَّلازُمِ بينهما" (الحَمدُ، 2004).

لا يخفى على أحدٍ مِنَّا مدى غيابِ الدُّعاءِ بالأسماء الحُسنى و الصِّفات العُلا كَمَنهَجٍ عن حياة المُسلمين اليوم، وكذلكَ فإنَّهُ لا يخفى على أحدٍ مدى خطورةِ غيابهِ كَمنهجٍ تطبيقيٍ عَمَلِيٍ، وذلكَ لأنّ في غيابه تعطيلاً للدُّعاءِ بها، وإضعَافاً للتَّعلُّقِ بالمَولى عزَّ وجلَّ مِمَّا يقودُ إلى الرُّكون إلى الدُّنيا فإنَّ المسلم الذي وقع في مُشكلةٍ أو مُصيبةٍ وكان من المُعَطِّلِينَ لدُعاءِ الله تعالى بأسمائه وصفاته والغافلينَ عنه فإنَّهُ سَيلجأ إلى الحُلُولِ الدُّنيويّةِ والمَادّيَّةِ و إلى النَّاس لِكَي يُعينوهُ على الخروج مِن مُصيبتِهِ وتجاوزِ مِحنتِهِ وهذا أمرٌ- مِن كُلّ بُدٍ عندَ البُعدِ عن الله - سَيَطولُ وسيكونُ مُؤلِماً . وما أقسَى الحياةَ حينَ يلجأُ المَرءُ إلى أهلها ويُصابُ المَرَّةَ تلوَ الأُخرى بِخَيبَات البَشَرِ ووعودهم الكاذبة وخُذلانِ البَعضِ له ! أمّا عندما يتعلَّقُ بالدُّعاء بالأسماء والصِّفات ويلتزم بها فإنه سيلمسُ - مِن كُلّ بُدٍ - أنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ وأنه لا يُخلِفُ الميعادَ ولا يخذلُ عبادَهُ المُؤمنينَ الذين يدعونه بما أمرهم به من الأسماء (ولله الأسماء الحُسنى فادعوه بها) (الأعراف:180)، ولو لم يَكُنْ النَّصرُ والتوفيقُ وإجابةُ الدّعاء حليفَ العبدِ المُلتَجِئ إلى الله لمَا أمره اللهُ تعالى بذلك ابتداءً، حاشاه أن يردّ عبداً دعاه. وهذه الحقيقة يؤكدها قول الحبيب المصطفى (إنّ الله يستحيي إذا رفعَ إليه عبدهُ يديه بالدعاء أنْ يُردّ عليه يديه صفراً)(*)، وكيف لا وهو مالكُ خزائن السموات والأرض وبيدهِ مَقاليدُها!

ولَرُبَّما يتساءِلُ مُتسائلٌ: كيفَ يكونُ الدُّعاء بالأسماء الحُسنى والصِّفات العُلا منهجاً عَمَلِيَّاً تطبيقيّاً كما ذُكِرَ قبلَ قليلٍ؟؟

والإجابةُ على هذا التّساؤلِ المُفيدِ تكمنُ في التَّعبُّدِ بهذه الأسماء والصِّفات في حياة المُسلمِ و ذلك يُسمَّى – كما سيأتي – عند العُلماء دُعاءَ العِبادة ؛ والذي يعني في أوضح معانيه أنْ نَتَعَبَّدَ اللهَ بما تقتضيهُ تلكِ الأسماءُ؛ "حيثُ أنَّهُ يُطلَقُ على الدَّعاء "عبادة"، قال تعالى: {وقالَ ربُّكم ادعُوني أَستَجِبْ لَكُم إنَّ الذين يَستكبِرُونَ عِن عِبَادتي سَيَدخلونَ جَهَنَّم داخِرين} (غافر: 60)، فالله تعالى قال في هذه الآية الكريمة "عَن عِبادتي" ولم يقل: "عَن دُعائي"، فدلَّ ذلكَ على أنَّ الدُّعاءَ عِبَادَةٌ. فاسمُ الرّحيم مَثَلًا يدُلُّ على الرَّحمة، وَحينَئِذٍ تَتَطَلَّعُ نَفسُ الدّاعي إلى أسباب الرحمة وتفعلها.

واسمُ الغفورِ يدلُّ على المَغفرةِ، وَحينَئِذٍ تتعرَّضُ نَفسُ الدّاعي لمغفرةِ الله عَزَّ وَجَلَّ بكثرةِ التَّوبة والاستغفار كذلكَ وما أشبه ذلك. واسمُ القريبِ يقتضي أَنْ تتعرَّضَ النَّفسُ إلى القُرب منهُ – سُبحانه - بالصَّلاة وغيرِها، وأقربُ ما يكونُ العبدُ مِن ربِّهِ وهو ساجدٌ. واسمُ السميع يقتضي أنْ يَتَعَبَّدَ الدّاعي للهِ بِمُقتضَى السَّمع، بحيثُ لا تُسمِعُ اللهَ قولًا يُغضبُهُ ولا يرضاهُ منه. واسمُ البصير يقتضي أن يَتَعَبَّدَ الدَّاعي اللهَ بِمُقتَضَى ذلكَ البَصَرِ بحيثُ لا يُري الله مِنهُ فِعلًا يكرهُه سُبحانه" (ابن العُثيمين، 2000، ص316).

إنّ المسلم إذا دعا اللهَ تعَالَى وتقرَّبَ إليه بالدُّعاءِ بأسمائه التي يُحبُّها جلَّ جلالُه وبصفاته التي اختار جلَّ جلالُه الاتّصافَ بها فإنَّ المُسلم يجب أن لا يغيبَ عن ذهنهِ الأمورُ الأربعةُ الهامَّةُ التّالية:

أَمَّا الأمرُ الأولُ: فهو أنَّ اللهَ تعالى يسمعُ الدُّعاء وأنَّهُ – سُبحانه – قريبٌ مِن عباده الدَّاعينَ، وأنَّهُ يستجيبُ لهم ولو بَعدَ حينٍ، قال تعالى: "إنَّهُ سَميعٌ قريبٌ" (سبأ: 50). وقال تعالى: "إنّ ربي قريبٌ مُجيبٌ" (هود: 61). عن أبي موسى رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: كُنَّا مع النبيِّ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - في

(*) سَبَق تخريجه.

سَفَرٍ فكُنَّا إذا علَونا كَبَّرنَا فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "أيُّها الناس اربعوا على أنفُسِكُم فإنَّكم لا تدعون أَصَمَّ ولا غائباً ولكنْ تَدعونَ سَميعاً بَصيراً... الحديث " (العسقلاني، 1449، كتاب الدّعوات، الحديث رقم 6021).

وأمَّا الأمرُ الثّاني: فهوَ أنَّ الله تعالى لا يَنسى دعاءَ عبدهِ مهما تأخَّرت الإجابةُ، وقد وعَدَهُ بالإجابة ولو بعد حين، وحتى لو نسيَ العبدُ نفسُهُ المسألةَ والحاجةَ التي دعا الله تعالى لتحقيقها له. قال تعالى: "وما كان ربُّكَ نَسِيَّاً" (مريم: 64).

أمَّا الأمرُ الثَّالثُ: فهوَ أنّ الله عزَّ وجلَّ مُتَّصِفٌ بكمال القدرة والعطاء وأنَّهُ طَلَبَ منّا أن ندعوَهُ ليُعطيَنا، وكُلُّ ما في الكون سهلٌ ويسيرٌ عليه تبارك وتعالى (إنَّ ذلك على الله يسيرٌ) (الحجُّ: 70). ولو أنَّ اللهَ تعالى أجابَ كُلَّ مطالب ودعوات أهل الأرض جميعاً في وَقتٍ واحدٍ لما أنقَصَ ذلك مِن مُلكهِ تعالى شيئاً ولو كان يسيراً، ويشهدُ لِصِحَّةِ هذا الكلامِ قولُهُ تعالى في الحديث القُدسيّ: "يا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إلَّا نَفْسَهُ" (النيسابوري، 875، الحديث رقم 2577). ولكنّنا في كثيرٍ من الأحيان نقعُ فريسةَ الاستعجال.

وأمَّا الأمرُ الرّابعُ: والأخير الذي ينبغي ألَّا يغيبَ عن ذهن المُسلم أثناء دُعائه الله تعالى: فهوَ أنَّ الله إنْ صرفَ عنهُ أمراً يريدُ العبدُ تحقيقَهُ ويتمنَّاهُ فإنَّ الله هو العَليمُ وهوَ علَّامُ الغُيوب، وأنَّهُ سُبحانه – وحدَهُ - يعلمُ ما هو أنسبُ وأفضلُ للعبد. قال تعالى: " إنَّهُ يَعلَمُ وأنتم لا تَعلَمُون" (البقرة: 216).

وإنَّ الدَّاعي إذا غَفلَ عن هذه الأمورِ الأربعةِ السّابقةِ مع شواهدها فإنَّهُ يكونُ قد عَطَّلَ – أو على الأقلّ – لم يَعِ ولَم يعقِل أسماء الله الحُسنى التي وردت في الشواهد السّابقة وهي (السّميع والقريب والمُجيب والعليم)، واللهُ تعالى أعلم.

وإنَّ العبدَ الذي يريدُ أن يسأل اللهَ ويدعوه بأسمائه وصِفاتهِ لَحَرِيٌّ بهِ أن يَتَخَلَّقَ بالأَخلاقِ والقِيَمِ والمبادئ والأحكام والمَدلولات والمعاني التي تحملها الأسماءُ الإلهيَّةُ الحُسنى والصِّفاتُ العُلا.

وقد يقول قائلٌ إنّ مسألةَ دعاء الله بأسمائه وصفاته هيَ مِن المُسَلَّمَات، والإجابةُ على هذا القَولِ هيَ: إنَّ المصيبةَ تكمُنُ في غياب هذه المُسَلَّمَات عن الكثيرين من المُسلمين والمُسلمات، واللهُ وحدَهُ يعلمُ كم أَهلَكَنَا غيابُ هذه المُسَلَّمَات؛ أَلَيسَت المحبَّةُ والتكافلُ والتَّراحمُ والتناصُرُ بين المُسلمين مِن المُسَلَّمات؟؟ بلى إنَّها كذلك، ولكنَّها مُسَلَّماتٌ غائبةٌ - أو فَلنَقُلْ مُغيَّبَةٌ - بفعل العبادِ وتقصيرهم، وَلنَنظُر إلى حالِ الأمّة بسبب غياب أو تغييب وتعطيل هذه المُسلَّمات.

ونحن إذ نقولُ هذا الكلامَ فإنَّنا نُخاطِبُ ونستشعرُ الواقعَ المُعاصِرَ المُؤلمَ للمسلمين الذي تتبدّى فيه الحاجةُ إلى دعاء الخالق بأسمائه وصفاته أكثرَ من أيّ عصرٍ مضَى على الأُمَّةِ في تاريخها؛ فَعَصرُنَا هذا - وللأسف - " فَهُوَ عصرُ الضّعفِ والمَذَلَّةِ والمَهَانةِ وانعدامِ القوَّةِ واختفاءِ عوامل الاستعداد والنَّصرِ، وهي عواملُ ينادي مجمُوعُها على أبناء الأمّة: إنَّهُ لم يبقَ لكم سوى التَّوجُّهِ إلى الله تعالى والاستغاثة والاستعانة به وحده بهذا الأمر وحده هو المتبقي والمُتاح لهذه الأمة في مواجهة الأزمات لتقوية المناعة أمام رياح السمّوم وللدّفاع عن النفس في معارك القهر والاجتثاث" (النّحلاوي، 2016، ص3).

ومن الواضح أن الكثيرين من أبناء الإسلام الذين غفلوا عن دعائه تعالى بأسمائه وصفاته إمّا أنهم لا يعرفون أن الله تعالى قد أمرهم بذلك في كتابه الكريم في أكثر من موضعٍ، وإمّا أنهم يعرفون ولكنَّهم يَرَونَ أنَّ الأخذ بالأسباب الماديّة هو وحدَهُ الذي يُجدي ويجلب الخير ويحقّقُ المنفعةَ لهم، وإمّا أن يكونوا في نِعمةٍ وسعَةٍ مِن العَيش فيظنُّونَ أنهم ليسوا في حاجةٍ للدعاء!! وإمّا أنْ يكونوا على درجةٍ من التقصير والإهمال و"اللامبالاة" كما هو حال الكثيرين من هذا الجيل الناشئ بين أيدينا، وإمّا أن يكونوا من المستعجلين في الدعاء المستبطئين الإجابة دَعَوا مرّةً ومرةً ولم يلمسوا استجابةً سريعةً مُفترضةً فتركوا الأمر بكُلّيته وأعرضوا ... وهذه الحالات التي أوردناها خلفَ "إمَّا التّفصيليّة" إنَّما هي مصائبُ وكوارثُ بحدّ ذاتِها، والعياذ بالله.

ممّا لا شك فيه أنّ العبد عندما يدعو الله تعالى بأسمائه الحسنى مثل (يا رزَّاقُ ابسط لي الرزق، يا ناصرُ انصرني، يا مُغيثُ أغثني...) فإنَّ في ذلك إظهاراً لمدى افتقار العبد إلى الله تعالى وحاجته الماسّة إليه وإلى رزقه ونصره وغيثه... كما أنّ فيه التجرّد الواضح والتبرؤ الصادق من كلّ حَوْلٍ وقوةٍ إلا من حول الله تعالى وقوته ولذلك يدعوه، وكذلك فنحن مأمورون بدعاء الله تعالى بأسمائه الحُسنى ففيها الدلالة على اتّصاف الله تعالى بهذه الصفات وتحققها فيه وتجردنا منها وعدم تحققها فينا، وهذا أمرٌ يُوافق الفِطرةَ السليمةَ ويتماشى مع العقل والمنطق السليم فلو أنّ العبد - مَثَلاً - كان قادراً على أن يرزق نفسه بنفسه لما دعا الله تعالى أن يرزقه، ولو كان قادراً على أن يُغيث نفسه بنفسه لما سأل الله تعالى الغيث.

ولعلَّ الوجهَ الأوضح لاتّصاف الله تعالى بهذه الصفات ولتجرُّدِ وخلوّ الإنسان منها هو دُعاء الله تعالى بهذه الأسماء والصفات، مع الاعتقاد الجازم بأنّ الله تعالى مُتَّصفٌ بها اتّصافَ كمالٍ مُطلَقٍ لا نقصَ فيه .. وبهذا الدعاء وبهذه الأسماء الحُسنى والصّفات العُلا يمدُّ اللهُ تعالى العبدَ بما يطلبه ويرجوه ويرفع عنه مِن البلاء ما لا يعلمه إلَّا هو سبحانه.

وإنّ دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته لَهُوَ سلاحٌ عظيمٌ، لا بَل هو السِّلاحُ الأعظمُ، ومَن الذي يغفل عن سلاحه في معركة الحياة إلا المُقصِّر الكسول الغافل؟! وحتّى يكون السلاحُ ذا فاعليةٍ فلا بُدَّ من إجادة استخدامه وإتقان توجيهه، وذلك بلزوم التَّدَرُّبِ عليه وممارسة الرمي به ولزومه أطولَ فترةٍ مُمكنةٍ دونَ تغافلٍ أو سهوٍ أو كسلٍ، مع اعتقاد الداعي بأنّ سلاحَه سيُصيبُ الهدفَ لا محالةَ ولا شكَّ. وكيفَ لا؟ وقد وعده اللهُ تعالى

بإصابة هذا الهدف ألَا وهو الاستجابةُ. وهذا السلاحُ يرمي به المسلمُ عن نفسه وعن أخيه المسلم وعن جماعة المُسلمين ويتوضَّحُ ذلك في حثّ الرسول - صلّى الله عليه وسلَّم - على الدعاء للمسلمين أفراداً وجماعاتٍ بِظَهرِ الغيب (دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مُستَجَابَةٌ، عند رأسه ملكٌ موكلٌ كُلّما دعا لأخيه بخيرٍ، قال المَلَك المُوَكَّلُ به: آمين ولكَ بِمِثلِ) (النيسابوري، 875، الحديث رقم 2732).

وقال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث الذي أخرجه الإمامُ مُسلم: وفي هذا فضل الدُّعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعةٍ مِن المسلمين حصلَت هذه الفضيلة، ولو دعا لجُملةِ المسلمين فالظَّاهرُ حصولها أيضاً، وكان بعضُ السَّلَف إذا أراد أن يدعو لنفسِهِ يدعو لأخيه المُسلمِ بتلك الدَّعوةِ، لأنها تُستَجَاب ويَحصُلُ له.

"الدُّعاءُ استراحةُ المؤمن مِن الهموم، وساحةٌ مفتوحةٌ لِمَن يريدُ حقَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وهو طريقٌ مُمَهَّدٌ لِمَن يطمع في الدرجات العليا في الدنيا والآخرة، وإذا كانت الحاجات كثيرةً، والعمل لا يُعين، كانَ الدُّعاء والطلب مِمَّنْ بيده تدبيرُ الأمور، الذي يكشف الضُّرَّ والسُّوء، ويجعل العسير يسيراً، والمستحيل مُمكنًا، قال الله تعالى: {أَمَّنْ يُجيبُ المضْطَرَّ إذا دَعَاهُ ويَكشِفُ السُّوءَ ويجعلُكُم خُلفاءَ الأرضِ أَإِلَهٌ معَ اللهِ قليلاً مَا تَذَكَّرُونَ} (النّمل: 62).

ولعلَّ مِمَّا يحسنُ ذِكرُهُ والتذكير به أنّ الأمر للناس بدعاء الله بأسمائه وصفاته هو خُصُوصِيَّةٌ لأُمَّةِ الإسلام، وأنَّ الأمر بذلك لم يَرِدْ في التوراة ولا في الإنجيل الموجودَينِ بين أيدينا على ما نعلم من دراستنا لهما، ويُفهم من ذلك أن الله تعالى يريد أن يفتح لهذه الأمة أبواباً من الخير لم يسبق فتحُها لأهل الكتاب وهذا حُبٌّ من الله تعالى لهذه الأمة واصطفاءها ورفعٌ لقدرها ومكانتها.

ومع التأكيّد على ما سَلفَ ذِكرُهُ من أهميّة الدعاء بشكلٍ عامٍ، ودعاءِ الله تعالى بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلا على وجه الخصوص، فإنّهُ يجب التَّنبيّه إلى أنَّ حديثَ "الدُّعاءُ مُخُّ العبادة" حديثٌ ضعيفٌ لا يَصِحُّ **. ولكن يجبُ التّنبيهُ في الوقت ذاته إلى صِحَّةِ حديثينِ آخرَينِ يدعمان أهميّة الدعاء كعبادةٍ؛ حيثُ قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: الدُّعاءُ هو العبادةُ، ثُمَّ قرأ هذه الآية {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (غافر: 60). وهذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي - رحمه الله - في سننه وحكم عليه بأنه حسنٌ صحيح (الألباني، 1999، الحديث رقم 1579، ج4، ص106-107).

وأمّا الحديثُ الثاني الذي يدعم أهميَّةَ الدّعاء كعبادةٍ فهو قولُه عليهِ الصّلاةُ والسَّلامُ (أفضلُ العبادة الدُّعاءُ) (التّرمذي، 892، الحديث رقم 2969، ج5، ص61). وقد أكَّدَ الشيخُ الألبانيُّ - رحمهُ اللهُ - على أنّ هذا الحديث حَسَنٌ بالرّغم من تصحيح الحاكم له. والقول بأنّ تفسير قوله تعالى: {ادعوني} الواردة في الآية السابقة هو (اعبدوني وأخلصوا لي العبادة) هو القول الذي تبنّاه كلٌّ من المفسرين الطبري وابن كثيرٍ والقرطبيّ - رحمةُ الله عليهم – عند تفسيرهم لهذه الآية الكريمة مع ذكرهم للحديث الشريف السّابق (الدُّعاء هو العبادة) مُقترناً بها.

"وهذا يدلُّ على أن الدعاء عبادة، ولا شك أنه عبادةٌ من النّاحية النظريّة فإن الإنسان إذا دعى ربّه فقد بنى دُعاءه على أمرين، الأمر الأول: شدة حاجته إلى الله عز وجل وافتقاره إليه وأنه لا ملجأ له إلا ربه تبارك وتعالى، والثاني: تعظيمه لله عزّ وجلّ وإيمانه بأنه تعالى قادرٌ على استجابته وأنه سبحانه وتعالى عَالِمٌ بدعائه وأنه سامعٌ لدعائه وهذا عبادةٌ " (ابن العُثيمين، 2000).

ولئن كان ما سبق إيرادهُ من الحثّ على الدعاء وأهمّيّته بشكلٍ عامٍ فلنا أن نتخيَّلَ مدى الأهميّة والألمعيّة التي يتميز بها دعاؤه سبحانه وتعالى على وجهٍ طلبه - تعالى - على وجهِ التّخصيص - ألا وهو دعاؤه بأسمائه وصفاته ولنا كذلك أن نتخيل ما الذي يمكن أن ننالَه من أجرٍ وثوابٍ واستجابةٍ وتوفيقٍ من الله تعالى إن نحنُ فعلنا ذلك وأتقناهُ وأتينا به على الوجه الذي يريده الله تعالى.

والذي يظهرُ لي - واللهُ تعالى أعلمُ - أنه لا يجوز للإنسان أن يدعوَ بِحُصُولِ شيءٍ أو تَحَقُّقِ مصلحةٍ أو دفعِ ضررٍ، دونَ تفصيلٍ - أو بالأصحّ تخصيص وتحديد هذا المطلوب - مع أنَّ الله تعالى يعلم ما في صدر الإنسان وقلبه وحاجته وهو أقربُ إليه مِن حبل الوريد على نحوِ ما ورد في الآية الكريمة* فلا يقول العبدُ: يا عالماً بما أنا فيه. أو يقولُ: يا عالماً بما في نفسي. أو يقولُ: يا عالماً بحالي أجبْ دُعائي. وذلك دون أن يُحَدِّدَ أو يُفصّلَ ما يريده من الله تعالى، لأنّ في هذا الوجه من الدّعاء مخالفةً لمنهج وطريقة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم – وطريقة ومنهج سابقيه من الأنبياء والرُّسُل في دعائهم الله تعالى وبالذّات في دعائه الله جلَّ وعَلا بأسمائه وصفاته.

المَطلبُ الرَّابعُ:

مَنهجُ الأنبياء في الدُّعاء بالأسماء والصِّفات

انتهى المطلبُ السّابقُ إلى القول بأنَّ دُعاء العبدِ للهِ عَزَّ وجلَّ دونَ تحديدِ حاجته ومسألته التي يريدها يُخالفُ منهجَ النبيّ- صلّى الله عليه وسلَّمَ - والأنبياء السّابقين له في دُعائهم الله تبارك وتعالى. ولَرُبَّما يسألُ سائلٌ: وكيف كانَ منهجُ النُّبُوَّةِ وطريق الأنبياء في دعائهم الله عزَّ وجَلَّ؟ ولَعلَّ أفضل طريقةٍ في الإجابة على هذا السُّؤال تتمثَّلُ في عرضنا لأبرز دعواتهم - عليهم السّلام – اللهَ تعالى خلالَ مسيرتهم مع أقوامهم أو أهلهم.

فالنبيُّ – صلَّى اللهُ عليه و سلَّمَ - كان قد اتَّخَذَ مِن دُعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته منهجَ حياةٍ مُتكامِلاً في كُلِّ أعماله وتصرُّفاته وعبادته وتفاصيل حياتهِ. وحتَّى يتوضّحَ ذلك لنا فإنّهُ من المُستَحْسَنِ الوقوفُ عندَ هذا الحديث الذي رواه علي بن أبي طالبٍ- رضي اللهُ عنهُ – في وصفه لبعض أعمال

وطاعات رسولنا الكريم - صلَّى الله عليه وسلَّمَ – حيثُ قال: كانَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: " وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ "، وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: "اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي"، وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: "اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ"، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: "اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: "اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" (النيسابوري، 875، الحديث رقم 771). إنّ هذا الحديثَ قد جاءَ شارحاً نفسَهُ بنفسِهِ، ولا حاجةَ لهُ بِنا ولا حاجةَ لنا به لِيَتِمَّ التّعليقُ عليه؛ حيث أنَّهُ كفانا ذلكَ في توضيحهِ لكيفيّة كونِ الدُّعاء بالأسماء والصِّفاتِ منهجاً في حياة الحبيب – صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ – وبالتالي يجبُ أن يكونَ منهج حياةٍ لنا؛ لأنَّهُ قُدوتنا ونحن مأمورون باتّباعه..

ولنَذكُر مثالاً آخَرَ:" كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ تَهَجَّدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ (العسقلاني، 1449، كتاب التهجّد، الحديث رقم 1069). وها هو - صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ – يُعلِّمُ النّاس أن يستغفروا ربَّهم الغفورَ الغفَّارَ بدُعاءٍ سَمَّاهُ "سَيِّد الاستغفار"، وهوَ: اللَّهمَّ أنتَ رَبّي لا إله إلاّ أنْت، خَلقتَني وأنا عَبدُكَ، وأنا عَلى عَهدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطعْتُ، أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنعْتُ، أبوءُ لكَ بِنِعْمَتِكَ عَليّ، وأبوءُ لكَ بذنبي فاغفر لي فإنّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ. قال: مَن قالَها مَنِ النَّهارِ مُوقِناً بها فماتَ مِن يومِهِ قبلَ أن يُمسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ومَنْ قَالَها مِن اللّيلِ وهو مُوقِنٌ بِها، فَماتَ قبل أن يُصبِحَ فَهُو مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ" (العسقلاني، 1449، كتاب الدّعوات، الحديث رقم 5947). ولنذكر أخيراً هذا الدُّعاء العظيمَ الذي يُعلِّمُ فيه النّبيُّ الكريمُ أُمَّةَ الإسلام كيف تُذهِبُ همومَها وأحزانَها وضيقَها بِدُعاء الله تعالى بأسمائه الحُسنى؛ فيقولُ: "مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ؛ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ بَصَرِي وَجَلاءَ حَزَنِي وَذَهَابَ هَمِّي. إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حَزَنِهِ فَرَحًا". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: " أَجَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ " (الألباني، 1999، الحديث رقم 200، ج1، ص387).

وفي ختام الحديث عن منهجِه – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ – في دوام دُعاء الله تعالى بأسمائه وصِفاتِهِ بأنْ نذكُرَ أنَّهُ كان على الدَّوام يحثُّ الصّحابةَ الكرامَ – رضي اللهُ عنهم – على دعاء الله تعالى باسمه وبصِفَتِهِ "ذي الجلال والإكرام" فيقول لهم: أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام". ومعنى أَلِظُّوا في هذا الحديث هو "إلزَمُوه واثبتوا عليهِ وأكثِروا مِن قَولِهِ والتَّلَفُظِ بِهِ".

وأمَّا عن منهج الأنبياء في دعاء الله تعالى بأسمائه و صفاته فإنّنا نستطيع أن نتلمَّسَ بعض معالمه من خلال ما سجَّلَهُ وحَفِظَه لنا القرآنُ الكريمُ من النّماذج والأدلّة والشواهد التي تُنيرُ لنا الدَّرب في هذه المسألة، وقبلَ مباشرة هذه الشّواهد والأدلّة نَرانَا نستجمِلُ الحديثَ عَن مشهَدٍ من مشاهد الآخرة يُذَكِّرُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فيه أهلَ النّار باستهزائهم بعباده المؤمنينَ الذين دعوه في الحياةِ الدُّنيا دعاءً جليلاً عظيماً بأسمائه وصفاتِهِ " خير الرّاحمين "فاستجابَ لهم وغفرَ لهم ورَحِمَهُم وجَعَلَهُم مِن أهل الجنّةِ، وجَعَلَ المُستَهزئينَ بهم من أهلِ النّار. قال تعالى: "قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ"(المؤمنون: 106-111).

ومن اللطيفِ المُلفِتِ للنَّظرِ في سورة "المؤمنون" التي وردَ فيها هذا المشهدُ والدُّعاء الجليلُ أنَّ الله تعالى قد أَمَرَ نبيَّهُ مُحمّداً – صلّى الله عليه وسلَّم – بعد هذا الدُّعاء بأسمائه الحُسنى أن يدعُوَه – تعالى – ويتوسَّل إليهِ بِنَفس الاسمِ والصِّفةِ التي دعاه وتوسَّلَ إليه بها المؤمنون الذين تحَدَّثَتْ عنهم آيات السُّورة الكريمة ألا وهي "خير الرّاحمين"؛ فقال تعالى: "وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ"(المؤمنون: 118).

وفي الحديث عن منهج بعض الأنبياء والرُّسُلِ الكرام – عليهم السَّلام- في دُعاء الله تعالى بأسمائه الحُسنى وصِفاته العُلا فإنّهُ من الجدير التوَقُّفُ عندَ محَطَّتينِ هامَّتينِ يتّوضحُ من خلالهما مدى استمساك الأنبياء والرُّسُلِ الكِرامِ بمنهج دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاتِهِ:

المحطَّةُ الأولى: دعا إبراهيم وإسماعيل – عليهما السّلامُ- اللهَ تعالى أن يتقبَّل منهما عملهما الصالح وطاعتهما امتثالهما لأمره بإعادة بناء الكعبة وأن يُريَهما مناسكهما وأن يُصلِحَ لهما ذُريّتهما والأمّةَ التي ستنبثُ منها... كلُّ هذا الدّعاء العظيم كان مقروناً بالعديد من أسمائه الحُسنى وصفاتِهِ العلا ؛ قال تعالى: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا

مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَاۖإِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (البقرة: 127-129). لقد استخدم هذا النبيَّان الكريمان في دُعائهما السّابق ستَّةً من أسماء الله الحُسنى هي: "السميع والعليم والتّوَّاب والرَّحيم والعزيز والحكيم". فكانت الاستجابة الربّانيَّة لدعائهما التي لا زلنا نلمسُ آثارها إلى يومنا الحاضر...

المحطّةُ الثّانيةُ: لَمَّا تقَدَّمُ العُمرُ بنبيّ الله زكريّا وكسا الشّيبُ رأسه وهو لا وَلَدَ ولا ذُرِّيَّةَ له، دعا اللهَ سبحانه وتعالى باثنين من أسمائه الحُسنى وصفاتِهِ العُلا أنْ يرزقَهُ الولدَ والذّرّيّةَ فاستجاب له اللهُ تعالى وأكرمَهُ وزوجَتَهُ بذلك. قال تعالى: "هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۖقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖإِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ" (آل عمران: 114).

وقال تعالى على لسانِ زكريّا: "وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ"(الأنبياء: 89) وهذا الدُّعاءُ الطّيّبُ المبارَكُ الثّاني لزكريّا - عليه السلام - عقبَ الدُّعاء الأوّل له، فذاكَ جاءَ بلفظِ حصول المَطلوب الذي يرغبُهُ وهو الوَلَد بصيغَةِ الطَّلَبِ، وهذا الدُّعاء الثّاني جاءَ بِطَلَبِ عدمِ وقوعِ ما يكرهُه في أن يكونَ فَرداً دونَ وَلَدٍ، " وهوَ (أيْ؛ الدُّعاء) مُتَضَمّنٌ لسؤالِ اللَّهِ تعالى أن يرزقَه وَلَداً، وكلا الدُّعائين فيهِ مِن كمالِ الأدبِ وحُسنِهِ في سؤال ربِّ العالمينَ كما ترى، والعبدُ يَتَخَيَّر في مُناجاةِ مَلِكِ المُلوكِ الوسائلَ النَّبيلةَ التي تَليقُ في الثَّنَاءِ والطَّلَبِ على ربِّهِ الكريمِ. ﴿**رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً**﴾ دعَا ربَّهُ دُعاءً خَفِيًّا مُنيباً قائلاً: ربّي لا تَتْرُكني وحيداً بِلا وَلَدٍ ولا وارثٍ. ﴿**وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾: أيْ أنتَ خيرُ مَن يبقى بعدَ كُلِّ مَن يموتُ، و في هذا الدُّعاءِ مَدحٌ له تعالى بالبقاءِ، وإشارةٌ إلى فناءِ مَن سِواه مِن الأحياء، وفي ذلك استمطارٌ لِسَحائِبِ لُطفِهِ عَزَّ وَجَلَّ و تَوَسُّلٌ إليه بما يُنَاسبُ مَطلوبَه باسمه تعالى: ﴿**خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾، بل أتى على وزن (أفعَل) للتَّفضِيلِ زِيادةً في المُبالغةِ في الثَّنَاء على اللَّه تعالى، استِعطَافاً للإجابة. فاستجابَ سُبحانه وتعالى لدُعائهِ، وَرَزَقَهُ نبيّاً صالحاً سمَّاهُ اللَّهُ تعالى ﴿**يَحْيَى**﴾ عليه السلام وجَعَلَ امرأتَهُ وَلُوداً، بعد أن كانت عَاقراً، دلالةً على كمالِ قُدرته سبحانه وتعالى الذي لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء"(ابن مقدم، 2009، ص124).

ولَعَلَّنَا - من خلال ذلك - نستطيعُ أن نفهم الحكمة من وجوب ربط الحاجة - عند الدعاء - باسم الله تعالى الذي عنوانٌ لها والله مُختصٌّ بها ومثال ذلك أن ندعو قائلين: يا الله يا رزّاق إبسط لي الرزق، يا غفّار اغفر لي الذنب (الفُلاني) يا وهّاب هبْ لي قرة عينٍ من ذُريتي، يا لطيف ألطف بعبدك (فلان) وخفّف عنه وقع مصيبته، يا كاشف اكشف عنّي الكُربة (الفلانيّة)، يا حافظ احفظني وأهلي من الشرّ والأذى والعين والحسد ومن كلّ ذي شرّ لا نطيق شره، يا شافي اشفني من المرض (الفلاني)... وما إلى ذلك من الدعاء المفصلة فيه الحاجات المرتبطة باسم الله تعالى الذي هو عنوانٌ لها وهو مُختصٌ بها. والله تعالى أعلم.

وأحياناً يكون عرضُ الإنسان لحاله ولِمَا هو فيه مِن الضّعفِ أثناء جلوسه أو قيامه بين يَدي الله تعالى بمثابة الدعاء الذي لا يعلم مضمونه وتفاصيله إلَّا المولى العالم المحيط بدقائق الأمور جلَّ وعَلا.

"وقد تتداخل الأساليب مع المضامين وتتقاطع، فمثلاً أن ندعوه تعالى بأنه أرحم الراحمين بين يدي دعائنا هو أسلوب، ولكنَّه كان هو مضمون الدعاء في دعاء أيوب عليه السلام لربه؛ قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 83، 84)، قال المُفَسّرون: "لم يُصَرّحْ أيوبُ بالدُّعاء، ولكنَّه وَصَفَ نفسَه بالعجز والضّعف، ووَصَفَ ربَّه بغاية الرحمة ليرحمَهُ، فاستجاب له الله تعالى" (الصّابوني، د.ت، ص184)، وهكذا فأنتَ تدعو الله تعالى بصفاته وأسمائه، تسأله من فضله، وأن يُؤتيك سُؤْلَكَ من جهةٍ، ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ التسبيحَ بحمده يُمكن أن يكون دعاءً، والاستغفارُ دعاءً، والاسترحامُ دعاءً" (النّحلاوي، 2016، ص7).

ومن اللطائف في موضوع "دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته" أنّ هذا الدُّعاء "مَجّانِيٌّ" ليست له تكاليفُ مادِّيّةٌ، وأنّه سهلٌ يسيرٌ يقدرُ على القيام به كلُّ كبيرٍ وصغيرٍ، وأنّه وبالرغم من مجّانيّته وسهولته نراهُ يفسح للعبد - عند الاستجابة - أبواباً من الرزق والخير والتوفيق والنجاح ما لا يعلمه إلَّا اللهُ مما لو أنفق الإنسان عمره كاملاً لما بَلَغَ مِعشاره بمجهوده واعتماده على قدراته الذاتيّة وإمكاناته المحدودة، ولكنَّه عطاءُ الله تعالى الذي علَّمَنَا سبحانه كيف ندعوه وبِمَ ندعوه حتّى ننال ممّا تقدم ذِكره من الرّجاء والأمنيات، ولكنّ الناس يستعجلون وبعضهم لا يعلمون وبعضهم دعائه مَعرِضون! مع أنهم لهم أجرٌ وثواب لمجرد توجههم بالدعاء لله تعالى وتركهم لدعاء غيره!

توصَّل البحث إلى النتائج الآتية:

- لا يجوزُ أن يُدعَى اللهُ تعالى بغير أسمائه الحُسنى وصفاته العُلا.
- ينقسمُ دعاء الله تعالى بأسمائه الحُسنى إلى دُعاء ثناءٍ وعبادةٍ ودُعَاءِ مسأَلَةٍ وطَلَبٍ.
- يجوز التوسُّلُ إلى الله تعالى بِصِفاتِه العُلا.
- ضرورة التفريق بين دعائه تعالى بأسمائه وصفاته وبينَ دُعاء الصِّفات بِعَينِهَا.
- دعاء الله تعالى بأسمائه الحُسنى وصفاته العلا كان منهجّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ومنهجَ الرُّسُلِ الكرام - عَلَيهم السَّلَامُ - في حياتهم والتَّعامُل مع أقوامهم.

- يكمُنُ المنهجُ العَمَليُّ التَّطبيقيُّ للدُّعاءِ بالأسماء الحُسنى والصفات العُلا في التَّعَبُّدِ بها في حياة المسلم.
- غيابُ الجانِبِ العَمَليّ التَّطبيقيّ عن دُعاء اللهِ تعالى بأسمائه الحُسنى خطيرٌ جدّاً ويَتَرَتَّبُ عليهِ تَعطِيلُها.

التوصيات

توصي الدراسةُ بأن يُفرِدَ الدَّارسون لهذا الموضوع والمهتمون به مزيداً من المؤلَّفات والكتابات في كيفية التطبيق العمليّ للدعاء بالأسماء والصِّفات والتَّعبُّدِ بها في حياتنا.

المصادروالمراجع:

القرآن الكريم.

ابن العُثيمين، م. (2000). *القولُ المُفيد على كتاب التَّوحيد*. الرياض: دار العاصمة. ص316.

ابن العربي، م. (1148). *أحكامُ القرآن*.(ط3). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، أ. (1910). *تلخيصُ الاستغاثة*. (ط1). المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثريّة.

ابن قيم الجوزيّة، م. (1350). *بدائعُ الفوائد*. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن مقدم، م. (2009). *شرحُ كتابِ الدُّعاء من الكتابِ والسنة*. النُّسخة المحوسبة المنشورة على موقع الألوكة.

ابن منظور، ج. (1311). *مُعجم لسان العرب*. (ط3). بيروت: دار صادر.

الألباني، م. (1999). *سِلسلةُ الأحاديث الصّحيحة وشيءٌ مِن فِقهِها وفوائدها*. (ط1). الرياض: مكتبة المعارف.

الألباني، م. (1999). *صحيحُ الجامعِ الصَّغير وزيادتهُ*. (ط1). عمان: المكتب الإسلامي.

البخاري، م. (1466). *صحيحُ البخاري*. النسخة المحوسبة للمكتبة الشاملة.

الترمذي، م. (892). *الجامعُ الكبيرُ المُسمَّى (سُنَن الترمذي)*، تحقيق: بشّار عوّاد.

الحَمَدُ، م. (2004). *بَيْنَ دُعاءِ المسألة ودعاءِ الثَّناء*. فتوى صادرةٌ عنه ومنشورةٌ في الموقع الإلكتروني فهرس خزانة الفتاوى والرقائق والأذكار على الرابط الإلكتروني: www.islamtoday.com.

الخطَّابي، ح. (988). *شَأنُ الدُّعاء*. (ط3). بيروت: دار الثقافة العربية.

الرّازي، م. (1999). *مفاتيح الغيب أو "التفسير الكبير"*. (ط3). بيروت: دار إحياء التراث العربي. ص305.

السَّعدي، ع. (1956). *تيسيرُ الكريم الرحمن في تفسير كلام المَنّان*. (ط1). الرياض: مؤسّسة الرسالة.

الصّابوني، م. (د.ت). *صَفوةُ التَّفاسير*. بيروت: المكتبة العصرية.

العَسقلاني، أ. (1449). *فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنُّذُور، باب الحلف بعزّة الله وصفاته*. ص554.

القزويني، أ. (1004). *مُعجم مقاييس اللُّغة*. بيروت: مكتبة دار الفكر.

النّحلاوي، غ. (2016). *الدعاء ببساطة*. دراسة في موقع الألوكة العلمي على الرابط: www.alukah.net.

النّسائي، أ. (915). *السُّنَنُ الكُبرى*. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة. ص156.

النيسابوري، م. (875). *صحيحُ مُسلم، كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود*. بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

References

Al-Albani, M. (1999). *A series of authentic hadiths and some of their jurisprudence and benefits*. (1st ed.). Riyadh: Al-Maaref Library.

Al-Albani, M. (1999). *Sḥīḥu al-ğāmʿi al-ṣwaġīr ūzīādthu*. (1st ed.). Amman: Islamic Office.

Al-Asqalani, A. (1449). *Fath Al-Bari explaination of Saheh Al-Bukhari, Book of Faith and Vows, Book of the Alliance with God's Glory and Attributes*, p. 554.

Albukhari, M. (1466). *Sḥīḥu al-bḫārī*. The computerized version of the comprehensive library.

Al-Bukhari, M. (870). *Sahih al-Bukhari: Computerized version of the comprehensive library*.

Al-Hamad, M. (2004). Between the supplication of the matter and the supplication of praise. *Fatwa issued by him and published on April 21, 2004, on the website of the index of the fatwa, chips and remembrances treasury on the website*: www.islamtoday.com.

Al-Khattabi, H. (988). *Ša'anu al-dwu'ā'*. (3rd ed.). Beirut: Arab House of Culture.

Al-Nahlawi, Gh. (2016).*The supplication simply*. A study published on January 5, 2016 in the scientific Al-Luka website at the link: www.alukah.net.

Al-Nisaburi, M. (875). *Saheh Muslim, Book of Prayer, Chapter on what is said in bowing and prostrating*. Beirut: House of Revival of Arabic Books.

Al-Nisaei, A. (915 AD). *The Great Sunan*. Beirut: Al-Risala Foundation, p. 156.

Al-Qazwini, A. (1004). *Dictionary of Language Standards*. Beirut: Dar Al-Fikr Library.

Al-Razi, M. (1209 AD). *Keys to the Unseen or the Great Interpretation*. (3rd ed.). Beirut: House of the Arab Heritage Revival, p. 305.

Al-Razi, M. (1999). *Mfātīḥ al-ġīb aū " al-tfsīr al-kbīr"*. (3rd ed.). Beirut: House of revival of Arab heritage. P305.

Al-Saadi, A. (1956 AD). *Tīsīru al-krīm al-rḥmn fī tfsīr klām al-manwān*. Riyadh: Al-Risala Foundation.

Al-Sabouni, M. (n.d). *Safwat al-Tafaseer*, Beirut: Modern Library.

Al-Shaibani, A. (855 AD). AL –Musnad. (1st ed.). Riyadh: Al-Risala Library.

Al-Tirmidhi, M. (892 AD). *al-ğāmʿu al-kbīru (Sunan Al-Tirmidhi)*.

Ibn al-Arabi, M. (1148 AD). *The provisions of the Qur'an*. (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alami.

Ibn al-Uthaymeen, M. (2000). *Al-qūlu al-mufīd ʿli ktāb al-twaūḥīd*. Riyadh: Dar al-Asimah, p. 316.

Ibn Manzur, J. (1311 AD). *Muʿğm lsān al-ʿrb*. (3rd ed.). Beirut: Dar Sader.

Ibn Muqaddam, M. (2009). *Explanation of the Book of Supplication from Quran and the Sunnah*. The computerized version published on the Aluka website in 2009.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, M. (1350 AD). *Bada'i al-Fawaed*. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Ibn Taymiyyah, A. (1910). *Tlḫīṣu al-āstġāṯ (known as the response to al-Bakri)*. (1st ed.). Medina: Al-Ghuraba Archaeological Library.